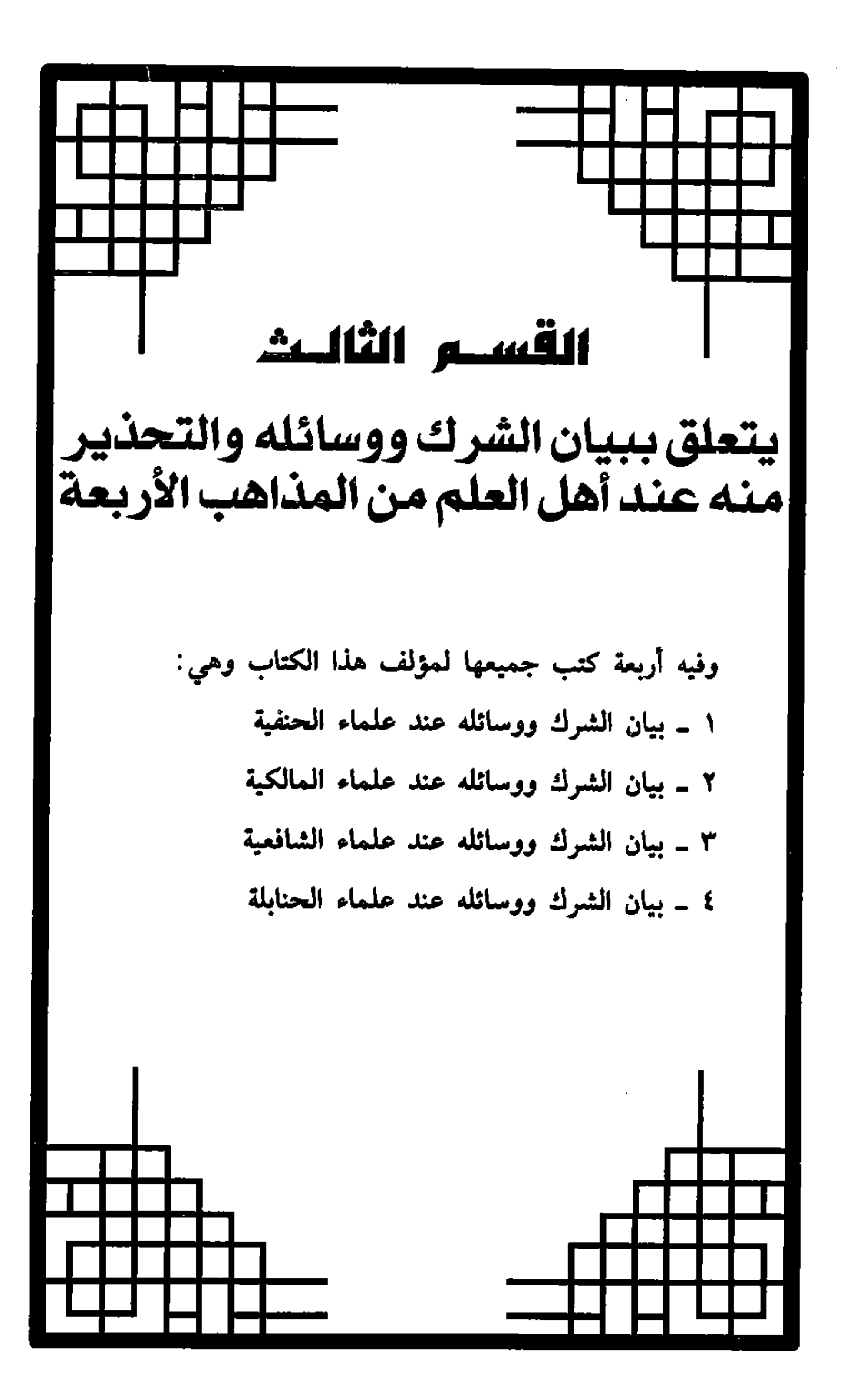


القسم الثالث

يتعلق ببيان الشرك ووسائله والتحذير منه عند أهل العلم من المذاهب الأربعة

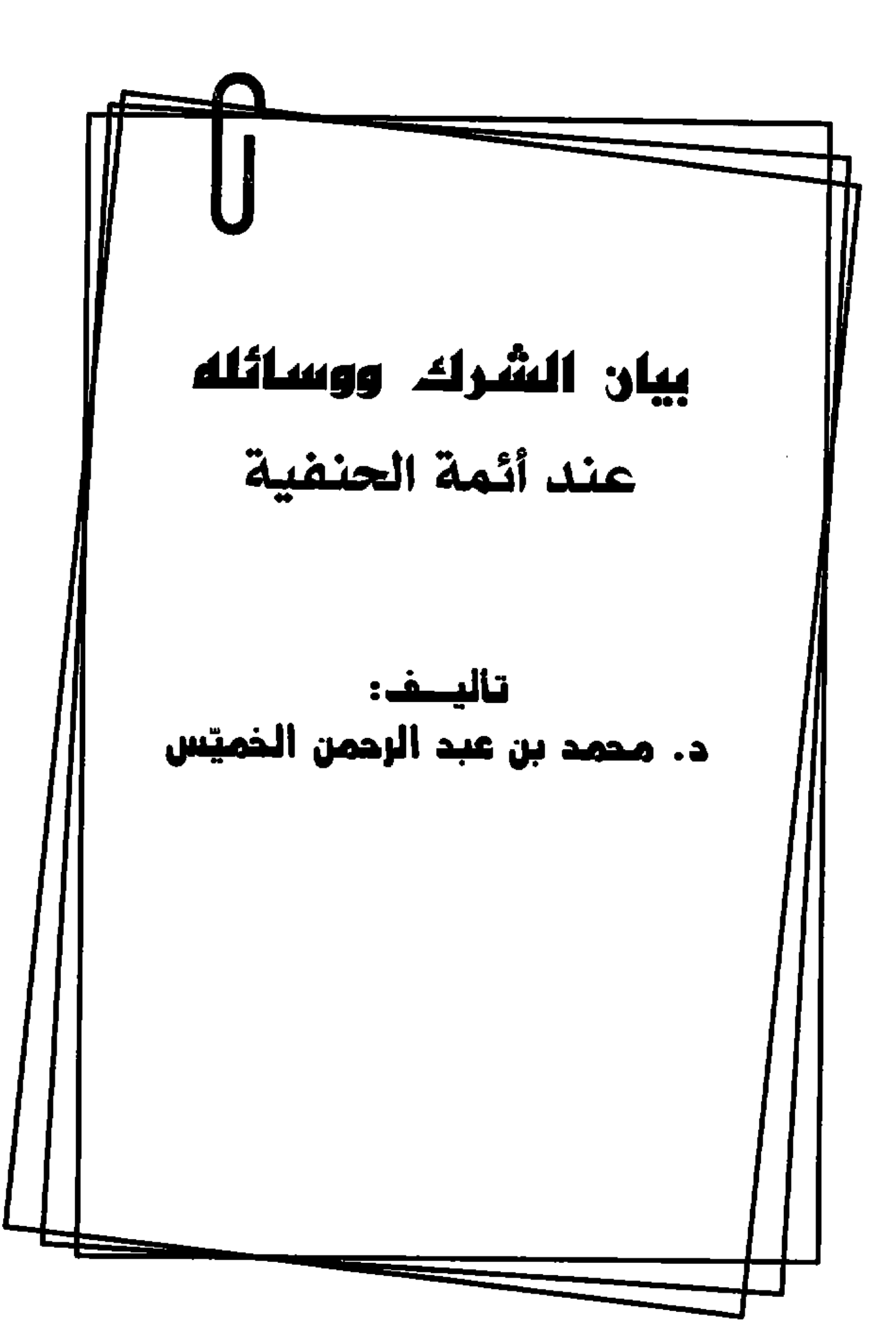
وفيه أربعة كتب جميعها لمؤلف هذا الكتاب وهي:

١ ـ بيان الشرك ووسائله عند علماء الحنفية

٢ ـ بيان الشرك ووسائله عند علماء المالكية

٣ ـ بيان الشرك ووسائله عند علماء الشافعية

٤ ـ بيان الشرك ووسائله عند علماء الحنابلة



بيان الشرك ووسائله
عند أئمة الحنفية

تأليف:

د. محمد بن عبد الرحمن الخميّس

المقدمــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، ﷺ،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: (٧٠، ٧١).

وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. أما بعد:

فإن لعلماء الحنفية الذين انتسبوا إلى أبي حنيفة في الفروع ووافقوه في الأصول جهوداً مشكورة في الرد على أهل البدع القبورية وبيان الشرك وأنواعه، ووسائله ومظاهره في بعض المجتمعات الإسلامية.

وهم بذلك يسيرون في ركب وقافلة العلماء من المالكية والشافعية والحنابلة الذين تصدوا لحماية جناب التوحيد ومحاربة البدع القبورية وغيرها وسد منافذ الشرك وذرائعه، وهذا يدل على أن بعض من انتسبوا إلى الحنفية قد بذلوا الجهد في محاربة البدع القبورية الشركية كغيرهم من أهل المذاهب فإن لهم في هذا الباب جهوداً مشكورة في الذب عن العقيدة الصافية من الشرك والبدع والدعوة إليها، متبعين أثر الأئمة كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم رحمهم الله جميعاً، من أئمة أهل السنة والجماعة الذين استفرغوا الوسع وبذلوا الجهد لحماية حرم التوحيد وصد هجمة الشرك وأهله، وخلافاً لما ظنه البعض من أن الحنابلة وحدهم هم الذين تصدوا لمحاربة البدع الشركية القبورية وغيرها، لكل هؤلاء أُقدِّم طرفاً من جهود الحنفية في هذا المجال لتكون حجة على المبتدعة، وأتبعه إن شاء الله على حسب الوقت والطاقة بما يبرز جهود علماء المالكية والشافعية في هذا المجال أيضاً، وسأورد نماذج من أقوال أئمة الحنفية في تعريف الشرك وأقسامه ووسائله وقد قسمت الموضوع إلى أربعة مباحث:

الأول: تعريف الشرك عند علماء الحنفية.

الثاني: أنواع الشرك عند علماء الحنفية.

الثالث: وسائل الشرك التي حذر منها علماء الحنفية لحماية جناب التوحيد.

الرابع: نماذج من الشرك التي بينها علماء الحنفية.

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب وأن يجعله خالصاً لوجهه وفي موازيني يوم الجساب وهو حسبنا ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول
تعريف الشرك عند بعض علماء الحنفية

وقبل الشروع في بيان معنى الشرك عند علماء الحنفية، يحسن بنا أن نبين معنى الشرك في اللغة فنقول:

الشرك لغة: الاسم من شركه في كذا يشركه شركاً وشركة، كأشركه كذا يشركه فيه إذا جعل له نصيباً قليلاً أو كثيراً في ذات، أو معنى، ومثله شاركه في كذا يشاركه فيه: كان شريكاً له فيه بقدر كبير أو صغير، في ذات أو وصف، وهو - أي الشرك - **شرعاً**: ضد التوحيد، كالكفر ضد الإيمان.

*** قال الإمام عبد القادر[1] الدهلوي:**

«الشرك هو أن يعتقد المرء في غير الله صفة من صفات الله كأن يقول: إن فلاناً يعلم كل شيء أو يعتقد أن فلاناً يفعل ما يشاء أو يدعي أن فلاناً بيده خيري وشري أو يصرف لغير الله من التعظيم ما لا يليق إلا بالله - تعالى - كأن يسجد للشخص أو يطلب منه حاجة أو يعتقد»[2].

---

(١) هو عبد القادر بن عبد الرحيم العمري الدهلوي الحنفي أحد العلماء المبرزين توفي سنة ١٢٣٠هـ انظر نزهة الخواطر (٧/ ٣٠٢ - ٣٠٤).

(٢) توضيح القرآن (١/ ١٠٥) (بالأردية).

ومن هذا التعريف يتضح أن الشرك عنده يشمل الشرك بالله ـ تعالى ـ في أفعاله أو صفاته، أو أفعال عباده المقصود بها عبادته.

* **وكذا قال الإمام محمد**[(١)] **إسماعيل الدهلوي** والشيخ أبو الحسن الندوي واللفظ له: «إن الشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان أحداً بالله ويساوي بينهما بلا فرق. بل إن حقيقة الشرك أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال خصها الله ـ تعالى ـ بذاته العلية وجعلها شعاراً للعبودية ـ لأحد من الناس كالسجود لأحد والذبح باسمه والنذر له، والاستعانة به في الشدة والاعتقاد أنه حاضر وناظر في كل مكان وإثبات التصرف له، كل ذلك يثبت به الشرك ويصبح به الإنسان مشركاً»[(٢)].

فهذه التعريفات للشرك توضح بجلاء أن العديد من أئمة الحنفية لم يقتصروا في بيان الشرك وتعريفه على أمر الربوبية فقط، بل كما ترى فإنهم قد جعلوا صرف العبادة لغير الله أيًا كان شركاً أكبر، وذلك هو الشرك الذي يحبط العمل ولا يقبل الله من فاعله صرفاً ولا عدلاً وهذا هو الشرك الذي قال الله فيه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾[(٣)] وقال: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[(٤)]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[(٥)] وقال ـ عز وجل ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن

---

(١) هو محمد إسماعيل بن عبد الغني بن عبد الرحيم العمري الدهلوي الحنفي ولد في دهلي سنة ١١٩٣هـ، توفي سنة ١٢٤٦هـ ومن مصنفاته تقوية الإيمان وتنوير العينين في إثبات رفع اليدين وغير ذلك.

(٢) تقوية الإيمان (٢٢ ـ ٢٣) (بالأردية). ورسالة التوحيد للندوي (٣٢ ـ ٣٣).

(٣) سورة الزمر، الآية: (٦٥).

(٤) سورة البقرة، الآية: (٢١٧).

(٥) سورة المائدة، الآية: (٧٢).

يَشَآءُ ﴾(١).

فالمشرك عمله حابط وهو من الخاسرين والجنة محرمة عليه ولن يغفر الله له شركه أبداً.

فكل هذه الصور والأنواع التي ذكروها وأوردوها هي من الشرك الأكبر الذي ظهر عند المتقدمين من العرب وبقي في هذه الأمة، وقد زين لهم الشيطان هذه الأعمال واحتجوا لها بالحجج الواهية كما قال - تعالى - عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾(٢). وقال أيضاً: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾(٣) وغير ذلك، هذا مع أنهم في ذات الوقت يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر كما حكى ذلك عنهم - تعالى - فقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾(٤).

فانظر إلى هذا التناقض العجيب والضلال الغريب! الله هو الذي خلقه ورزقه، ويقر بذلك ثم يعبد غيره! سبحان الله عما يشركون.

ولكون كثير من الجهال يعتقدون بأن توحيد الربوبية هو المطلوب وكفى، سهل عليهم الوقوع في شرك الألوهية فصرفوا العبادة لغير الله، دعاء واستغاثة وغيرهما وما دروا أن «**الدعاء هو العبادة**»(٥) كما قال النبي ﷺ.

---

(١) سورة النساء، الآية: (٤٨).
(٢) سورة الزمر، الآية: (٣).
(٣) سورة يونس، الآية: (١٨).
(٤) سورة لقمان، الآية: (٢٥).
(٥) أخرجه أحمد (٤/٢٦٧، ٢٧٦، ٢٧). وأبو داود (٢/١٦١) في الصلاة باب الدعاء ح (١٤٧٩) والترمذي له (٢١١) ح (٢٩٦٩) في التفسير باب ومن سورة البقرة (٥/٣٧٤) ح (٣٢٤٧) باب ومن سورة المؤمن و (٥/٤٥٦) ح (٣٣٧٢) في الدعاء باب ما جاء في فضل الدعاء وابن ماجه (٢/١٢٥٨) ح (٣٨٢٨) في الدعاء باب فضل الدعاء والبخاري في الأدب المفرد ص (١٠٥) وابن أبي شيبة=

لهذا فإن الوقوع في هذا النوع من الشرك كثير الحدوث سهل الوجود عند كثير من الجهال ومن أسباب ذلك تقصير أهل العلم وانحراف بعض المنتسبين إلى العلم في هذا الباب وغير ذلك ولكن من خلال كلام علماء الحنفية السابق في بيان أنواع الشرك يظهر واضحاً أنهم ساووا بين الشرك في الربوبية والشرك في العبودية وفي الصفات، ولم يقتصروا على نوع منها بل ذكروها كلها.

= في المصنف (٦/ ٢١) ح (٢٩١٦٧) باب فضل الدعاء وابن حبان (٢/ ١٢٤) ح (٨٨٧) (إحسان) والبيهقي في الشعب (٢/ ٣٧) ح (١١٠٥) والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩١) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وابن جرير في التغيير (٢٤/ ٧٨، ٧٩) جميعهم من طريق يسيع الكندي عن النعمان بن بشير مرفوعاً.

المبحـــث الثانـــي
أنواع الشرك عند علماء الحنفية

عند استعراض الأنواع المذكورة لاحقاً يتضح لنا جليًا أنها لم تقتصر على جانب الربوبية فقط بل تعدتها كما يأتي لبيان الشرك في العبودية (الألوهية) بل وإلى بيان الشرك في أسماء الله وصفاته وذلك بإسباغ شيء من صفاته ـ تعالى ـ على أحد من المخلوقين أو بالغلو في أحد من الخلق حتى يرفع إلى درجة الإله المعبود.

وإليك أقوال[١] بعض علماء الحنفية في بيان أنواع الشرك وأقسامه:

١ ـ قال الإمام أحمد السرهندي[٢]:

(١) يلاحظ أن أقسام الشرك التي سيذكرها علماء الحنفية هي مجرد صور للأعمال الشركية التي تقع في بعض المجتمعات الإسلامية لعموم الجهل ولا شك أنهم اجتهدوا بهذا العمل فلو ذكروا الشرك في العبادة مجملاً مع سوق الأدلة لكان في نظري أجدى، أما وأنهم فصلوا في بيان أنواع الشرك فالعبادات التي يقع فيها شرك غير محصورة في الأعمال المذكورة بل هناك كثيرٌ غيرها فلماذا اقتصر على هذه الحنفية فقط؟ إلا أنها تثبت صحة ما ذهبنا إليه من اهتمام كثير من علماء الحنفية بالتحذير من الشرك في أعمال العبادة.

(٢) هو أحمد بن عبد الأحد السرهندي الحنفي الماتريدي النقشبندي له بيان العقائد على مذهب الماتريدية وتهذيب طريقة الصوفية ورسالة في إثبات النبوة وأخرى في الرد على الشيعة الإمامية وغير ذلك توفي سنة ١٣٠٤هـ بمدرسة سرهند ودفن بها انظر ترجمته في نزهة الخواطر (٥/٤٣ ـ ٥٥).

الشرك قسمان:

الأول: الشرك في واجب الوجود.

والثاني: الشرك في العبادة.

٢ ـ **قول الإمام**[١] **أحمد الرومي**: والشيخ سجان بخش الهندي حيث ذكرا ستة أقسام، منها:

(شرك التقريب وهو عبادة غير الله للتقرب[٢] إلى الله)[٣].

٣ ـ **وذكر التهانوي**[٤] عدة أنواع للشرك، منها:

(١ ـ شرك في العبادة[٥].

٢ ـ الشرك في الطاعة[٦].

---

(١) هو أحمد بن محمد الأقحصاري الحنفي ويعرف بالرومي من علماء الدولة العثمانية وله تصانيف واشتغال بعلوم الشريعة تدريساً وإفتاء وتصنيفاً توفي سنة ١٠٤٣هـ انظر ترجمته في هداية العارفين (١/ ١٥٧) ومعجم المؤلفين (٢/ ٨٣).

(٢) والدليل قول الله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [سورة الزمر، الآية: (٣)].

(٣) مجالس الأبرار على خزينة الأسرار (١٥٠ ـ ١٥٢).

(٤) هو محمد بن علي بن حامد بن صابر الحنفي العمري التهانوي متكلم أديب فقيه ماتريدي كان حياً قبل سنة (١١٥٨)هـ انظر ترجمة نزهة الخواطر (٦/ ٢٧٨) ومعجم المؤلفين (١١/ ٤٧).

(٥) وذلك لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [سورة النحل، الآية: (٣٦)]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [سورة الأعراف، الآية: (٥٩)]. وقوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الإسراء، الآية: (٢٢)]. يقول لا تصرف عبادتك لغير الله وذلك بعبادة غيره.

(٦) وذلك في مثل قول الله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [سورة يس، الآية: (٦٠)]. يقول: ألا تطيعوا الشيطان وتتبعوه فيما يأمركم به من معصية الله فعبادته طاعته كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ [سورة مريم، الآية: (٤٤)].

٣ ـ الشرك في التسمية[١].

٤ ـ الشرك في العلم[٢].

٥ ـ الشرك في القدرة[٣])[٤].

(١) يحتمل أن يراد به التسمية بغير الله ـ تعالى ـ عند الذبح وهنا قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [سورة الأنعام، الآية: (١٢١)]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [سورة البقرة، الآية: (١٧٣)]. ويحتمل أن يراد به تسمية المولود بالعبودية لغير الله كما يقال عبد الحارث وعبد العزى قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [سورة الأعراف، الآية: (١٩٠)]. أي جعلا لله شركاء في ذلك الولد الذي انفرد الله بإيجاده، والنعمة به، وأقر به أعين والديه، فعبّداه لغير الله. أي إما أن يسمياه بعبد غير الله كـ «عبد الحارث»، «عبد العزى» و «عبد الكعبة» ونحو ذلك. أو يشركا في الله في العبادة، بعد ما منّ الله عليهما بما منّ به، من النعم التي لا يحصيها أحد من العباد وهذا انتقال من النوع إلى الجنس، فإن أول الكلام، في آدم وحواء. ثم انتقل الكلام في الجنس، ولا شك أن هذا موجود في الذرية كثيراً فلذلك قررهم الله على بطلان الشرك، وأنهم في ذلك ظالمون، أشد الظلم، سواءً كان الشرك في الأقوال، أم في الأفعال. فإن الله هو الخالق لهم، من نفسٍ واحدة، الذي خلق منها زوجها وجعل لهم من أنفسهم أزواجاً، ثم جعل بينهم من المودة والرحمة، ما يسكن بعضهم إلى بعض، ويألفه، ويلتذ به. ثم هداهم إلى ما به يحصل الشهوة واللذة والأولاد والنسل، ثم أوجد الذرية في بطون الأمهات وقتاً موقوتاً، تتشوق إليه نفوسهم ويدعون الله أن يخرجه سويًا صحيحاً، ويشكرون الله أن منّ عليهم النعمة وأنالهم مطلوبهم. أفلا يستحق أن يعبدوه، ولا يشركوا في عبادته أحداً ويخلصوا له الدين» انظر تيسير الرحمن (١٢٨/٩ ـ ١٣٠).

(٢) وذلك لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الجن، الآية: (٢٦)]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة النمل، الآية: (٦٥)].

(٣) كما في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الشعراء، الآيتان: (٧٢، ٧٣)]. وكما في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ [سورة العنكبوت، الآية: (١٧)].

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون (١٤٦/٤ ـ ١٥٣).

٤ ـ وذكر الإمام ولي الله الدهلوي[١] عدة أقسام للشرك هي:

(١ ـ الشرك في السجود[٢].

٢ ـ الشرك في الاستعانة[٣].

٣ ـ الشرك في النذر[٤].

٤ ـ الشرك في التسمية[٥]

٥ ـ الشرك في الطاعة في التحريم والتحليل[٦].

٦ ـ الشرك في الذبح[٧].

---

(١) هو أحمد ولي الله بن عبد الرحيم بن وجيه الدين العمري الدهلوي أحد علماء الدين المتضلعين من مصنفاته الفوز الكبير والبدور البازغة وحجة الله البالغة وغيرها توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١١٧٦)هـ بمدينة دهلي انظر نزهة الخواطر (٦/ ٣٩٨ / ٤١٥).

(٢) كما في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة النجم، الآية: (٦٢)].

(٣) لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [سورة الفاتحة، الآية: (٥)]. وكما في قوله ﷺ: **«وإذا استعنت فاستعن بالله»** أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما.

(٤) والدليل قول الله ـ تعالى ـ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [سورة الإنسان، الآية: (٧)] وانظر كلام الحنفية في ذلك حاشية ابن عابدين على الرد المحتار (٢/ ٤٣٩، ٤٤٠) والإبداع في مضار الابتداع ص (١٨٩) وكتاب زيارة القبور ص (٢٩) والمجالس الأربعة ص (١٤). وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الحج، الآية: (٢٩)]. والبحر الرائق (٢/ ٢٩٨)، وروح المعاني (١٧/ ٣١٣).

(٥) سبق الكلام فيه والإشارة إلى مقصوده ودليله.

(٦) كما في قوله الله ـ تعالى ـ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة التوبة، الآية: (٣١)]. وكما في تفسيرها عند الترمذي وغيره **«ألم يحلوا لهم الحرام ويحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم؟ قال: بلى قال: «فتلك عبادتهم إياهم»**.

(٧) والدليل قول الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [سورة الأنعام، الآية: (١٦٢)]. =

٧ ـ تسييب السوائب والبحائر[1].
٨ ـ الشرك في الحلف[2][3].
٩ ـ الشرك في الحج لغير الله[4][5].

= وكما في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝﴾ [سورة الكوثر، الآية: (٢)]. وانظر كلام الحنفية في ذلك كتاب تحفة الفقهاء (٣/ ٦٧).

(١) لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [سورة المائدة، الآية: (١٠٣)]. هذا ذم المشركين الذين شرعوا في الدين، ما لم يأذن به الله، وحرموا ما أحل الله. فجعلوا بآرائهم الفاسدة شيئاً من مواشيهم محرماً على حسب اصطلاحاتهم التي عارضت ما أنزل الله فقال: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ وهي: ناقة يشقون أذنها ثم يحرمون ركوبها ويرونها محترمة، ولا سائبة وهي؛ ناقة أو بقرة أو شاة إذا بلغت سنًا اصطلحوا عليه سيبوها، فلا تركب ولا يحمل عليها، ولا تؤكل، وبعضهم ينذر شيئاً من ماله، يجعله سائبة.
﴿وَلَا حَامٍ﴾ أي جمل يحمى ظهره عن الركوب والحمل إذا وصل إلى حالة معروفة بينهم. فكل هذه مما جعلها المشركون محرمة بغير دليل ولا برهان وإنما ذلك افتراء على الله، وصادرة من جهلهم وعدم عقلهم» انظر تيسير الرحمن (٢/ ٣٥٢).

(٢) هذا إذا كان الحالف معتقداً في المحلوف به شيئاً من الكمال والعظمة التي لا تنبغي إلا لله أو كان مساوياً له بالله، وإلا فإن مجرد الحلف باللسان فقط شرك أصغر ولا يخرج من الملة.

(٣) لقول النبي ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر**» أخرجه أبو داود والحاكم وأحمد وغيره.
وفي رواية: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» أخرجه أحمد.
وجاء عن الإمام أبي حنيفة النهي عن الحلف بغير الله فقد قال الإمام أبو حنيفة: «لا يحلف إلا بالله متجرداً بالتوحيد والإخلاص» انظر بدائع الصنائع (٣/ ٨).
وقال ابن نجم الحنفي عمن حلف بغير الله: «ويخاف الكفر على من قال بحياتي وحياتك» انظر البحر الرائق (٥/ ١٢٤) وانظر كلام الحنفية في ذلك في الفتاوى الهندية (٦/ ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٦) والبحر الرائق (٣/ ٨٨، ٥/ ١٢٤).

(٤) لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [سورة آل عمران، الآية: (٩٧)].

(٥) حجة الله البالغة (١/ ١٨٣)، وفي الطبعة الجديدة (١/ ٥٤٣) ومثله في البدور البازغة (١٢٥/ ١٢٧).

٥ ـ **وذكر الشاه محمد إسماعيل**[(١)] عدة أقسام هي:

١ ـ الشرك بدعاء الأولياء والاستغاثة بهم[(٢)].

٢ ـ الشرك بالنذر والذبح للأولياء[(٣)].

٣ ـ الشرك بالاستعانة بالأولياء[(٤)].

٤ ـ الشرك في التسمية بأن ينسب الأولاد إلى الأولياء بمعنى أنهم من عطاء غير الله وهبة غير الله كنحو عبد النبي، وهبة علي، هبة حسين، هبة المرشد، هبة المدار، هبة سالار وذلك طمعاً في رد البلاء عنهم[(٥)].

٥ ـ الحلف بغير الله[(٦)].

٦ ـ إرسال الظفيرة لغير الله باسم ولي من أولياء الله.

٧ ـ إلباس الولد لباساً خاصًا باسم الولي.

٨ ـ صفد الابن بقيد في رجله باسم ولي من أولياء الله.

٩ ـ السجود لغير الله[(٧)].

١٠ ـ اعتقاد علم الغيب لغير الله[(٨)].

---

(١) تقدم ترجمته.

(٢) لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [سورة يونس، الآية: (١٠٦)]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال، الآية: (٩)] وانظر روح المعاني (١١/٩٨، ٦/١٢٩).

(٣) سبق سوق أدلتها.

(٤) سبق سوق أدلتها.

(٥) سبق سوق أدلتها.

(٦) سبق سوق أدلتها.

(٧) سبق سوق أدلتها وانظر البحر الرائق (٥/١٢٤) والمرقاة (٢/٢٠٢). وروح المعاني (١٧/٢١٣).

(٨) سبق سوق أدلتها وانظر كلام حكم من ادعى علم الغيب في كتب الحنفية=

١١ ـ إثبات قدرة التصرف لغير الله[١].

ثم قال بعد ذلك: «كل ذلك يثبت به الشرك ويصبح الإنسان به مشركاً»[٢].

* **وذكر الإمام محمد بن إسماعيل الدهلوي** عدة أقسام في موضع آخر هي:

«١ ـ الشرك في العلم[٣].

٢ ـ الشرك في التصرف[٤].

٣ ـ الشرك في العبادة[٥].

٤ ـ الشرك في العادة أي الأعمال»[٦].

وتبعه الشيخ الندوي وشدد النكير على القبورية[٧].

= الآتية: الفتاوى الهندية (٦/ ٣٢٣ ـ ٣٢٥، ٣٢٦) والبحر الرائق (٣/ ٨٨، ٥/ ١٢٤).

(١) سبق سوق أدلتها وانظر كلام الحنفية في البحر الرائق (٢/ ٨٩٢) وروح المعاني (١٧/ ٢١٣) والإبداع ص ١٨٩.

(٢) تقوية الإيمان (١٩/ ٢١) (الطبعة الأردية) ورسالة التوحيد للندوي (٢٥/ ٣٣).

(٣) لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [سورة البقرة، الآية: (٢٥٥)].

(٤) لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سورة سبأ، الآيتان: (٢٢، ٢٣)].

(٥) سبق الكلام عليه.

(٦) رد الإشراك ص (١٦ ـ ١٧).

(٧) رسالة التوحيد ص (٣٤ ـ ٤٠).

المبحث الثالث
وسائل الشرك التي حذر منها علماء الحنفية لحماية جناب التوحيد

لقد صرح علماء الحنفية بالنهي عما هو من وسائل الشرك كتجصيص القبور والبناء عليها[١] وتعليتها[٢] والكتابة عليها[٣] واتخاذها

(١) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر قال: «نهى رسول الله ﷺ، عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناء» ولمعرفة موقف أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ وكثير من أتباعه من هذه القضايا راجع: بدائع الصنائع (١/ ٣٢٠)، تحفة الفقهاء (٢/ ٢٥٦)، المتانة ص (٢٠١) وفتح الملهم (٢/ ١٢١، ١٢٢)، معارف السنن (٣/ ٣٠٥، ٣٠٧) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ص (٣٣٥)، حاشية رد المحتار لابن عابدين (٢/ ٢٣٧)، الفتاوى الهندية (١/ ١٩٤) البحر الرائق (٢/ ١٩٤)، المبسوط (٢/ ٦٢)، حاشية مراقي الفلاح ص (٤٠٥) والإبداع (١٩٧) وزيارة القبور ص (٢٩).

(٢) لما ورد عند مسلم وغيره عن علي ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ بعثه وأمره ألا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه.
وللاستزادة في معرفة موقف أئمة الحنفية من ذلك راجع تبيين الحقائق للزيلعي (١/ ٢٦٤) فتح الملهم (٢/ ٥٠٦) وروح المعاني (١٥/ ٣٧) وفتح القدير (٢/ ١٤١).

(٣) لما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبي ﷺ «نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها» وللتعرف عن موقف الحنفية راجع: بدائع الصنائع (١/ ٣٢٠) وتحفة الفقهاء (٢/ ٢٥٦) وتبيين الحقائق (١/ ٢٦٤) وحاشية مراقي الفلاح ومراقي الفلاح (٤٠٥) والإبداع ص (١٩٧).

مساجد[١] وإسراجها[٢] واستقبالها للصلاة والدعاء[٣] واتخاذها أعياداً[٤] وشد الرحال إليها[٥].

(١) قال النبي ﷺ: **«لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** يحذر ما صنعوا متفق عليه، وقال: **«ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»** أخرجه مسلم وغيره وراجع لمعرفة موقف الحنفية: تبيين الحقائق (١/ ٢٦٤) وروح المعاني (١٥/ ٢٣٧) والمرقاة في شرح المشكاة (٢/ ٢٢) والكواكب الدراري (١/ ٣١٦، ٣١٧) زيارة القبور للبرعوي ص (٢٩) والمجالس الأربعة ص (١٣).

(٢) في الحديث: **«لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»** أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما وراجع لمعرفة موقف الحنفية: الكواكب الدراري (١/ ٣١٧) والإبداع ص (١٨٩) زيارة القبور ص (٢٩) والمجالس الأربعة ص (١٣).

(٣) أخرج مسلم وغيره أن النبي ﷺ قال: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها» وقد كره أبو حنيفة استقبال قبر النبي ﷺ، وقت الدعاء. وانظر: التوسل والوسيلة ص (٢٩٣) وروح المعاني (٦/ ١٢٥) ومجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر (١/ ٣١٣).

(٤) أخرج أبو داود عن أبي هريرة مرفوعاً: **«لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»** وراجع لمعرفة موقف الحنفية: الإبداع ص (١٨٥).

(٥) أخرجه أحمد عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا ينبغي للمطي أن تشد رحالهم إلى مسجد يبتغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»**.

المبحـــث الرابـــع
نماذج من الشرك التي حذر منها علماء الحنفية

مما قد يكون مدعاة للاستغراب بعد أن بينا أن المشركين من العرب لم يشركوا في أمر الربوبية بل في أمر الألوهية، أقول مما قد يستغرب القول بأن هناك الكثير من المظاهر لوجود شرك في الربوبية بين أفراد الأمة الإسلامية اليوم، غير أن هذا الاستغراب سوف يزول لا شك إن وقف القارىء على بعض هذه المظاهر التي سوف يأتي ذكرها في هذا المبحث، وقد أطيل في بعض النقول لأهميته.

* **وقال محمد علاء الدين الحصكفي**(١) فيمن نذر لغير الله:

«واعلم أن الذي يقع للأموات من أكثر العوام وما يؤخذ من الدراهم للشمع والزيت ونحوهما إلى ضرائح الأولياء الكرام تقرباً إليهم هو بالإجماع باطل وحرام»(٢).

* **قال ابن عابدين شارحاً هذا النص:**

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد الحصني المعروف بعلاء الدين الحصكفي مفتي الحنفية في دمشق من تصانيفه الدر المختار في شرح تنوير الأبصار وإفاضة الأنوار على أصول المنار توفي سنة (١٠٨٨هـ) انظر خلاصة الأثر (٤/٦٣ - ٦٥) والأعلام (٦/٢٩٤).

(٢) الدر المختار مع رد المحتار (٢/٤٣٩).

«قوله: تقرباً، كأن يقول: يا سيدي فلان إن رد غائبي أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب أو الفضة أو من الطعام أو من الشمع والزيت كذا قوله «باطل وحرام» لوجوه منها أنه:

«نذر لمخلوق والنذر لا يجوز لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق ومنها أن المنذور له ميت والميت لا يملك..»[١].

* **وقال الآلوسي** واصفاً حال المستغيثين بغير الله وتعلقهم الشديد بالأموات حيث صرفوا لهم أنواعاً من الطاعات كالنذر وغيره: (وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾[٢]. إشارة إلى ذم الغالين في أولياء الله ـ تعالى ـ حيث يستغيثون بهم في الشدة ـ أي الأولياء ـ غافلين عن الله ـ تعالى ـ وينذرون لهم النذور، والعقلاء منهم يقولون إنهم وسائلنا إلى الله ـ تعالى ـ وإنما ننذر لله ـ عز وجل ـ ونجعل ثوابه للولي ولا يخفى أنهم في دعواهم الأولى أشبه الناس بعبدة الأصنام القائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ ودعواهم الثانية لا بأس بها لو لم يطلبوا منهم بذلك شفاء مريضهم أو رد غائبهم أو نحو ذلك.

* **قال محمد بن يحيى بن محمد الكندهلوي الحنفي**[٣]:

(وأما اتخاذ المساجد عليها فلما فيه من الشبه باليهود باتخاذهم مساجد على قبور أنبيائهم وكبرائهم ولما فيه من تعظيم الميت وشبه بعبدة الأصنام.. وأما اتخاذ السرج عليها فمع ما فيه من إسراف في ماله المنهي عنه بقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ

---

(١) رد المحتار على الدر المختار (٢/ ٤٤٩ ـ ٤٤٠).

(٢) سورة الحج، الآية: (٧٣).

(٣) هو محمد يحيى بن محمد بن إسماعيل الكاندهلوي الحنفي كان أديباً وعالماً فاضلاً ذا ملكة علمية راسخة من مصنفاته الكواكب الدراري توفي سنة (١٣٣٤هـ). انظر مقدمة محقق المصنف لابن أبي شيبة (١/ ٢٧) العناقيد الغالية ص (٤٧).

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ۝٢٧﴾[١].

ففيه تشبه باليهود فإنهم كانوا يسرجون المصابيح على قبور كبرائهم وتعظيم للقبور وانشغال بما لا يعنيه..)[٢].

* وقال الآلوسي الحنفي:

(ولقد رأيت من يبيح ما يفعله الجهلة في قبور الصالحين من إشرافها وبنائها بالحجر والآجر وتعليق القناديل عليها والصلاة إليها والطواف بها واستلامها والاجتماع عندها في أوقات مخصوصة إلى غير ذلك.. وكل ذلك محادة لله ـ تعالى ـ ورسوله، ﷺ، وإبداع دين لم يأذن به الله ـ عز وجل ـ.. ويكفيك في معرفة الحق تتبع ما صنع أصحاب رسول الله، ﷺ، في قبره عليه الصلاة والسلام، وهو أفضل قبر على وجه الأرض.. والوقوف على أفعالهم في زيارتهم له، والسلام عليه عليه الصلاة والسلام.

(فتتبع ذاك وتأمل ما هنا وما هناك والله ـ سبحانه وتعالى ـ يتولى هداك..)[٣].

* وقال الإمام ولي الله الدهلوي:

(وإذا كنت ـ أيها القارىء ـ تتوقف بصحة ما يقال عن عقائد المشركين وأعمالهم فانظر إلى المخرفين في هذا العصر، لا سيما من يقطنون منهم بأطراف دار الإسلام، ما هي تصوراتهم عن «الولاية»، فرغم أنهم يعترفون بولاية الأولياء المتقدمين، يرون وجود الأولياء في عصرنا هذا من المستحيلات، ويؤمون القبور والعتبات، وقد ابتلوا بأنواع من الشرك والبدع والخرافات، وتمكن منهم التحريف والتشبيه، وتغلغل في نفوسهم حتى لم تبق بحكم ما جاء في الحديث الصحيح:

---

(١) سورة الإسراء، الآية: (٢٧).
(٢) الكواكب الدراري (١/٣١٦ ـ ٣١٧).
(٣) روح المعاني (١٥/٢٣٩ ـ ٢٤٠).

«**لتتبعن سنن من كان قبلكم**.. إلخ» بلية من البلايا ولا فتنة من الفتن إلا وطائفة من طوائف المسلمين ـ اسماً ـ تخوض فيها وتتعلق بها، عافانا الله ـ سبحانه ـ من ذلك.

وبالجملة فإن رحمة الله ـ تعالى ـ اقتضت بعثة سيد الأنبياء محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه في الجزيرة العربية، وأمره بإقامة الملة الحنيفية، ومجادلة هذه الفرق الباطلة عن طريق القرآن العظيم، وقد كان الاستدلال في مجادلتهم بالمسلمات التي هي من بقايا الملة الإبراهيمية، ليتحقق الإلزام ويقع الإفحام)(١) وقال في البدور البازغة: (صدق رسول الله، ﷺ، حيث قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب اتبعتموهم، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟**»(٢).

ألا ترى أن مشركي مكة كانوا يذعنون بانصرام سلسلة الوجود إلى الله كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾(٣) وما أغناهم ذلك عن الإشراك بالله ـ تعالى ـ، وربما قرع سمعك فيما يسرد من الأخبار أن العلم سيرفع بين يدي القيامة فيتمارى رجلان، يقول أحدهما: إياك ستين ويقول الآخر: إياك سبعين فيرفعان القضية إلى أعلمهم. فيقول: إياك تسعين وأقسم بالذي نفسي بيده إنه قد وقع في آيات آخر، فلست أرى أحداً إلا وفيه الإشراك كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾(٤) وكفّر الله ـ تعالى سبحانه ـ مشركي مكة لقولهم لرجل سخي كان يلت السويق للحجاج أنه نصب منصب الألوهية

---

(١) الفوز الكبير ص (٢٦) وانظر الطبعة القديمة ص (٢٠).

(٢) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن إسرائيل (٦/ ٤٩٤)، (٣٤٥٦) كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى، ومسلم (٤/ ٢٠٥٤) ح (٢٦٦٩) كلاهما من طريق عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري.

(٣) سورة لقمان، الآية: (٢٥).

(٤) سورة يوسف، الآية: (١٠٦).

فجعلوا يستعينون به عند الشدائد.

ولقد علمنا الصادق المصدوق عليه أفضل الصلوات وأيمن التحيات فيما أخرجه الترمذي عن عدي بن حاتم أنه قال: سمعته يعني رسول الله، ﷺ، يقرأ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1]. قال: «**إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه**»[2]. فقد علمنا أن الشرك ليس بمحصور في العبادة، بل قد يكون بهذا النحو ولعل رجلاً عريض القفا يقول وكيف هذا؟ وما سمعنا رجلاً يقول بذلك! فنقول له: اعلم أن التحريف ليس هو اعتياض لفظ مكان لفظ كما وقف عليه فهوم العامة، بل شأن التحريف أهول من ذلك ـ وأكثر أنواعه وجوداً أن يقلب اللفظ من ظاهر مراده إلى هواه وهواجس نفسه، فقد أشار السيد عليه الصلاة والسلام إلى أنه سيوجد رجال يسمون الخمر بغير اسمها ويسمون الزنا بغير اسمه ثم يقولون ما هذا حرم الله ـ تعالى ـ في كتابه فعليكم به لا بأس ـ ألست ترى أقواماً يقولون إن المسكر الذي يتخذ من العسل وما يماثله ليس بخمر ثم أحلوه، فأولئك الذين فيهم قال رسول الله، ﷺ، ما قال، وأقواماً يقولون إذا وطىء الرجل أمة ابنه فذلك حلال له، فأولئك قوم أركسوا على وجوههم وغرتهم الأماني فسوف يعلمون غداً من الكذاب الأشر، ألست ترى أقواماً يذعنون لأقوالهم ويجدون في صدورهم استحلال ما أحلوه حتى إنهم كادوا يسطون بالذين يتلون عليهم آيات الله ـ تعالى ـ ألست تراهم إذا قيل لهم دعونا من أقوال الناس فهم قد يصيبون وقد يخطئون وعليكم بالكتاب وبما حكاه الصادق المصدوق عليه السلام من أمر الله

---

(١) سورة التوبة، الآية: (٣١).

(٢) كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة التوبة (٥/٢١٨) ح (٣٠٩٥) وابن جرير في (١٠/١١٤) والبيهقي في السنن (١٠/١١٦) جميعهم من طريق مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم قال الترمذي: (حديث غريب).

- تعالى - قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾[١]﴾[٢] وخطأوا هذا الرأي بل عسى أن يقتلوهم إن استطاعوا، فأولئك هم المشركون حقاً، ولقد اقشعر جلدي حين بلغني ما يسرد في الأساطير عن رجل اعترفوا له بالفضل أنه قال لو تجلى الله - سبحانه - يوم القيامة على غير صورة فلان ما رأيته فقد حط بالله - سبحانه - درجته عن فلان فإن صدقت الرواية، فليس بمعذور عند الله تعالى)[٣].

* **وقال الإمام إسماعيل الدهلوي** في كتابه تقوية الإيمان وتبعه أبو الحسن الندوي في رسالة التوحيد واللفظ له: استفحال فتنة الشرك والجهالة في الناس:

اعلم أن الشرك قد شاع في الناس في هذا الزمان وانتشر، وأصبح التوحيد الخالص غريباً، ولكن معظم الناس لا يعرفون معنى الشرك، ويدعون الإيمان مع أنهم قد تورطوا في الشرك وتلوثوا به، فمن المهم قبل كل شيء أن يفقه الناس معنى الشرك والتوحيد، ويعرفوا حكمهما في القرآن والحديث.

مظاهر الشرك وأشكاله المتنوعة:

ومن المشاهد اليوم أن كثيراً من الناس يستعينون بالمشايخ والأنبياء، والأئمة[٤] والشهداء، والملائكة، والجنيات عند الشدائد،

(١) في المطبوعة (لمقتدون).
(٢) سورة الزخرف، الآية: (٢٣).
(٣) البدور البازغة ص (١٦٧ - ١٧٠).
(٤) يعني أئمة أهل البيت الذين غلت فيهم الشيعة، وأحاطوهم بهالات من التقديس والتعظيم ويعتقدون فيهم العصمة، والاطلاع على الغيب، ويفسرون الإمامة تفسيراً يجعلها مشاركة للنبوة، بل منافسة لها في كثير من الخصائص، وقد تأثر أهل السنة بكثير من العقائد الشيعية في الهند بتأثير الحكام والأمراء، وحكم=

ويصرخون بأسمائها، ويسألون منها قضاء الحاجات وتحقيق المطالب، وينذرون لها، ويقربون لها قرابين لتسعفهم بحاجاتهم، وتقضي مآربهم، وقد ينسبون إليها أبناءهم طمعاً في رد البلاء، فيسمي بعضهم ابنه بعبد النبي وبعضهم بعلي بخش، وحسين بخش، وبير بخش، ومدار بخش[1]، وسالار بخش[2] ولا بأس بما نقوله في الأنبياء من الحب والتقدير، أما إذا عدلناهم بالله واعتقدنا أنهم والله - جل وعلا - بمنزلة سواء، كان ذلك شركاً، لا شك فيه، ولكننا لا نقول بذلك، بل نعتقد بالعكس، إنهم خلق الله وعبيده، أما ما نعتقده فيهم من القدرة والتصرف في العالم، (فهما)[3] مما أكرمهم الله وخصهم به، فلا يتصرفون في العالم إلا بإذن منه ورضاه، فما كان نداؤنا لهم، واستعانتنا بهم إلا نداء لله واستعانة به، ولهم عند الله دالة ومكانة ليست لغيرهم، قد أطلق أيديهم في ملكه، وحكمهم في خلقه،

= الاختلاط بهم والجهل بالإسلام، قاله معرب الكتاب أبو الحسن الندوي.

(١) هو الشيخ الكبير المعمر بديع الدين المدار الحلبي المكنبوري، أحد مشاهير الأولياء بأرض الهند، ينسبون إليه من الوقائع الغريبة ما يأباه العقل والنقل، وإليه نسب شهر من شهور السنة في التقويم المنتشر عند العامة وأهل القرى في الهند ودخل اسمه في الأمثال السائرة عند عوام الناس، وهو مؤسس الطريقة المدارية التي انحرفت في العهد الأخير، ودخل فيها الشيء الكثير من الخرافات والرياضات البهلوانية، كانت وفاته في عاشر جمادى الأولى سنة (٨٤٤هـ). قاله أبو الحسن الندوي.

(٢) هو السيد سالار مسعود الغازي من أشهر الأعلام في الهند، نسجت حوله أساطير كثيرة، وشخصيته لم يسلط عليها الضوء الكافي علميًا وتاريخيًا، ذكره ابن بطوطة في رحلته، وقال إنه فتح أكثر تلك البلاد، وله أخبار عجيبة، وغزوات شهيرة، مات شهيداً سنة (٥٨٨هـ)، ودفن في مدينة بهرائج في الولاية الشمالية في الهند، قال في «نزهة الخواطر»: بنى على قبره ملوك الهند عمارة سامية البناء، والناس يفدون إليه من بلاد شاسعة، ويزعمون أنه كان عزباً شاباً لم يتزوج، فيزوجونه كل سنة، ويحتفلون لعرسه وينذرون له أعلاماً فينصبونها على قبره، قاله أبو الحسن الندوي.

(٣) هكذا في الأصل لعل الصواب (فهو).

يفعلون ما يشاؤون، وينقضون ويبرمون، وهم شفعاؤنا عند الله، ووكلاؤنا عنده، فمن حظي عندهم، ووقع عندهم بمكان، كانت له حظوة ومنزلة عند الله، وكلما اشتدت معرفته بهم، اشتدت معرفته بالله، إلى غير ذلك من التأويلات الكاسدة، والحجج الداحضة، التي ما أنزل الله بها من سلطان.

والسر في ذلك أن القوم قد نبذوا كلام الله وحديث رسوله وراءهم، وسمحوا لعقولهم القاصرة أن تتدخل فيما ليس لها مجال فيه، وتشبثوا بالأساطير والروايات الشائعة التي لا تستند إلى تاريخ ونقل صحيح، واحتجوا بتقاليد خرافية، وعادات جاهلية، وإن كانوا عولوا على كلام الله ورسوله وعنوا بتحقيقه، لعرفوا أنها نفس التأويلات، والحجج التي كان كفار العرب يتمسكون بها في عصر النبي، ﷺ، ويحاجونه بها، ولم يقبلها الله منهم، بل كذبهم فيها فقال في سورة يونس: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾[1] وقد علمنا من هذه الآية أنه لا يوجد في سماء ولا أرض من يشفع لأحد، وتنفع شفاعته من استشفع به، وما شفاعة الأنبياء إلا بإذن ربهم، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[2] فإذا ناداهم أحد، أو صرخ باسمهم، أو لم ينادهم ولم يصرخ باسمهم، فلا يتحقق إلا ما يريده الله وما يأمر به.

حقيقة شرك أهل الجاهلية وضلالهم:

وكذلك تبين أن الكفار الذين كانوا في عصر النبي، ﷺ، لم يكونوا يعدلون آلهتهم بالله، ويرونهم مع الله بمنزلة سواء، بل كانوا

---

(١) سورة يونس، الآية: (١٨).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: (٢٨).

يقرون بأنهم مخلوقون لله، ولم يكونوا يعتقدون أبداً أن آلهتهم لا يقلون عن الله قدرة وقوة، وهم، والله في كفة واحدة فما كان كفرهم وشركهم إلا نداءهم لآلهتهم، والنذور التي كانوا ينذرونها لهم، والقرابين التي كانوا يقربونها بأسمائهم، واتخاذهم لهم شفعاء، ووكلاء فمن عامل أحداً بما عامل به الكفار آلهتهم، وإن كان يقر بأنه مخلوق وعبد، كان هو وأبو جهل في الشرك بمنزلة سواء.

خلال الشرك وأعماله:

فاعلم أن الشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان أحداً بالله، ويساوي بينهما، بلا فرق، بل إن حقيقة الشرك أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال، خصها الله بذاته العلية، وجعلها شعاراً للعبودية، أن يأتي بها لأحد من الناس، كالسجود لأحد، والذبح باسمه، والنذر له، والاستغاثة به في الشدة، واعتقاد أنه حاضر ناظر في كل مكان، وإثبات قدرة التصرف له، وكل ذلك يثبت به الشرك، ويصبح الإنسان به مشركاً، وإن كان يعتقد أن هذا الإنسان، أو الملك، أو الجني الذي يسجد له أو يذبح، أو ينذر له، أو يستغيث به، أقل من الله شأناً، وأصغر منه مكاناً، وأن الله هو الخالق وهذا عبده وخلقه، لا فرق في ذلك بين الأولياء والأنبياء، والجن والشياطين، والعفاريت، والجنيات فمن عاملها هذه المعاملة كان مشركاً، لذلك وصف الله اليهود والنصارى، الذين غلوا في أحبارهم ورهبانهم، مثلما غلا المشركون في آلهتهم بما وصف به عباد الأوثان والمشركين وغضب على هؤلاء، الغلاة المنحرفين، كما غضب على غلاة المشركين، فقال: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾[1].

---

(١) سورة التوبة، الآية: (٣١).

وقد ذكر أن جميع الخلق سواءً كانوا علماء أو عباداً، حكاماً أو ملوكاً، كلهم عبيد خاضعون، عاجزون ضعفاء، لا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا يملكون إذا بعثهم الله، وطلبهم إلا أن يقفوا أمام ربهم خاضعين مستسلمين، طائعين منقادين، يقول الله - تعالى - في سورة مريم: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾[1]، فظهر أنه هو المتصرف وحده، وأنه لا يملك أحداً غيره ولا يمكنه فيه، وأن الناس يأتون ربهم فرادى لا يمنع أحد آخر، وقد تضافرت الآيات على ذلك وكثرت.

ومن تأمل في آيتين أو ثلاث من الآيات الكثيرة التي سردناها، وغيرها من الآيات التي لم يتسع المجال لذكرها، عرف الفرق بين الشرك والتوحيد، وتجلت له حقيقتهما، وقد آن الأوان لأن نذكر الخلال والأعمال التي خصصها الله بذاته العلية، ولم يأذن لغيره أن يكون له نصيب منها، وهي كثيرة يطول ذكرها، ولكن لا بد أن نخص بالذكر منها ما يستطيع القارىء، الفهم الذكي أن يقيس عليها، ويميز بين الحق والباطل، والهدى والضلال.

العلم المحيط الشامل من خصائص الله تعالى:

وفي مقدمة هذه الأمور، أنه من شأن الله وحده أن يكون حاضراً وناظراً في كل مكان، يعلم ما دَقَّ وجَلَّ، وبَعُدَ أو دَنا، أو خَفِيَ أَو ظَهَرَ، لا تخفى عليه خافية في أي وقت، لا فرق في ذلك بين نور وظلمة، وبين سماوات وأراضين، وبين قمم الجبال، وأغوار البحار، هذا العلم المحيط الشامل لكل زمان ومكان، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة، صفة خاصة بالله - تعالى - لا يشاركه فيها أحد، فمن كان يلهج باسم أحد من الخلق، ويناديه قائماً وقاعداً، وعن قرب وبعد،

---

(١) سورة مريم، الآيات: (٩٣ - ٩٥).

ويستصرخه ويستغيث به عند نزول البلاء، ودفع الأعداء، ويختم ختمة باسمه، أو يراقبه ويركز فكره عليه، ويصرف همته إليه، متمثلاً صورته كأنه يشاهده، ويعتقد أنه إذا ذكر اسمه باللسان أو القلب، أو تمثل صورته، أو قبره، واستحضرهما، علم بذلك وعرفه، وأنه لا يخفى عليه من أمره شيء، وأنه مطلع على ما ينتابه من مرض وصحة، وعسر ويسر، وموت وحياة، وحزن وسرور، ولا يتفوه بشيء من كلام، وتنطق به شفتاه، ولا يساوره هم من الهموم، ولا يجول بخاطره معنى، إلا وعلم ذلك، واطلع عليه، كان بذلك مشركاً، وكل ذلك يدخل في الشرك.

ويسمى هذا النوع «الإشراك في العلم» وهو إثبات صفة العلم المحيط لغير الله، وإن كان هذا الإثبات لنبي أو ولي، أو شيخ أو شهيد، أو إمام[1] أو سليل إمام، أو عفريت أو جنية، سواء اعتقد أنه يعلم من ذاته، أو يعلم أنه منحة من الله، وعطاء منه، وقد استقل بهذا العلم، وأصبح له صفة لا تنفك عنه كل ذلك شرك.

التصرف المطلق بالإرادة، والقدرة لكماله من خصائص الله تعالى:

والشيء الثاني يجب أن يعتقد الإنسان، أن التصرف في العلم بالإرادة، وإصدار الأمر والنهي، والإماتة والإحياء كما يشاء، والبسط والقبض في الرزق، والإفاضة بالصحة والمرض، والفتح والهزيمة، وتسخير القضاء والقدر لإنسان، يكون النصر دائماً حليفه، ويكون محظوظاً لا تزال أموره في إقبال أو بالعكس فتدبر عنه الدنيا، ويلج به الخذلان، وإنجاح المطالب وتحقيق الأماني، ودفع البلايا، والإغاثة في الشدائد، وإلهاف الملهوف، وإنهاض العاثر، هذه كلها من خصائص الله - تعالى - لا يشاركه فيها أحد من الأنبياء والأولياء، والشهداء

(١) يعني أئمة أهل البيت قاله معرب الكتاب: الشيخ أبو الحسن الندوي.

والصلحاء، والعفاريت والجنيات، فمن أثبت هذا التصرف المطلق لأحد منهم، وطلب منه حاجاته، وقرب القرابين والنذور لأجل ذلك، أو استصرخه في نازلة، كان مشركاً، ويقال لهذا النوع «الإشراك في التصرف» سواء اعتقد أنهم يقدرون على ذلك بأنفسهم، أو يعتقد أن الله - سبحانه وتعالى - وهبهم هذه القدرة، وخلع عليهم هذه الكرامة.

أعمال العبادة وشعائرها، خاصة بالله تعالى:

والشيء الثالث أن الله - سبحانه وتعالى - خص أعمال التعظيم لنفسه، وهي التي تسمى «عبادة» كالسجود والركوع، والوقوف بخشوع وتواضع (مثلاً يضع يده اليمنى على اليسرى)[1] وإنفاق المال باسم من يعتقد فيه الصلاح أو العظمة، والصوم له، وقصد بيته من أنحاء بعيدة، وشد الرحل إليه بوجه يعرف كل من رآه أنه يؤم بيته حاجًا زائراً، والهتاف باسمه في الطريق كالتلبية، والتجنب من الرفث والفسوق، والقنص وصيد الحيوانات، ويمضي بهذه الآداب والقيود، ويطوف بالبيت، ويسجد له، ويسوق الهدي إليه وينذر النذور هناك، ويكسو ذلك البيت، كما تكسى الكعبة، والوقوف على عتبته، والإقبال على الدعاء والاستغاثة، والسؤال لتحقيق مطالب الدنيا والآخرة، وبلوغ الأماني، وتقبيل حجر من أحجار هذا البيت والالتزام بجداره، والتمسك بأستاره، وإنارة السرج والمصابيح حوله تعظيماً وتعبداً، والاشتغال بذاته، والقيام بجميع الأعمال التي يقوم بها السدنة من كنس وإنارة، وفرش وسقاية، وتهيئة أسباب الوضوء والغسل، وشرب ماء بئره تبركاً، وصبه على الجسم، وتوزيعه على الناس، وحمله إلى من

---

(١) كما كان يقف السيد بين يدي سادتهم في مجلس الملوك في بلاد العجم. قاله معرب الكتاب أبو الحسن الندوي.

قلت: ومن هذا القبيل ما نرى كثيراً في القبورية الجهلة في مسجد رسول الله ﷺ يضع أحدهم يده اليمنى على اليسرى قائماً بأتم خشوع وخضوع متوجهاً إلى القبر الشريف ويخشعون أكثر من خشوعهم لله في الصلاة.

لم يحضر، والمشي مدبراً عند العودة، حتى لا يولي البيت دبره، واحترام الغابة التي تحيط به، والتأدب معها، فلا يقتل صيدها، ولا يعضد شجرها، ولايختلي خلاها، ولا يرعى ماشية في حماها.

كل هذه الأعمال علمها رب العالمين عباده، وأفردها لنفسه، فمن أتى بها لشيخ طريقة، أو نبي، أو جني، أو لقبر محقق، أو مزور، أو لنصب، أو لمكان عبادة، عكف فيها أحد الصالحين على العبادة والذكر والرياضة، أو لبيت، أو لأثر من آثار أحد الصالحين، يتبرك به، أو شعار يعرف به، أو يسجد لتابوت أو يركع له، أو يصوم باسمه[١] أو يقف أمامه خاشعاً متواضعاً، واضعاً إحدى يديه على الأخرى، أو يقرب له حيواناً، أو يؤم بيتاً من هذه البيوت من بعيد، فيشد إليه الرحل، أو يوقد السرج فيه تعظيماً وتعبداً، أو يكسوه بكسوة (كما تكسى الكعبة) أو يضع على ضريح ستوراً[٢]، أو يغرز علماً، أو

(١) يظهر أن بدعة الصوم بأسماء الصالحين والصالحات من الأمة، قد ظهرت في العصر القديم في الهند، وقد يكون الصوم لشخصيات خيالية لا وجود لها، ولهذا الصوم أحكام وآداب في النية والإفطار، وأيام محدودة، ويطلب منه قضاء الحاجات من أولئك الذين يصام باسمهم، والاستعانة بهم، وقد شنع على ذلك الإمام الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي (المتوفى ١٠٣٤هـ) في رسالة له إلى إحدى الصالحات من أتباعه، وعده إشراكاً في العبادة، (رسالة رقم (٣/ ٤١) رسائل الإمام أحمد بن عبد الأحد، قاله أبو الحسن الندوي.

(٢) اعتاد الغلاة في تعظيم الأموات والقبور أن يكسوا ضرائح الأولياء والصالحين بالستور والثياب، ويعاملوها معاملة الأحياء من المشايخ العظماء، قاله أبو الحسن الندوي، وقد ظهرت هذه البدعة في بعض البلاد العربية، يقول الشيخ علي محفوظ الحنفي في كتابه «الإبداع في مضار الابتداع»: «ولكن خدمة الأضرحة سولها لهم الشيطان، ذلك ليفتح لهم باباً من الأرزاق الخبيث، فتراهم إذا احتاجوا لتجديد ثوب التابوت لكل عام، أو إذا بلي، يوهمون العوام أن بها من البركة ما لا يحاط به، وأنها نافعة في الشفاء من الأمراض، ودفع الحساد وجلب الأرزاق والسلامة من كل المكارة، والأمن عن جميع المخاوف، فتهافت عليها البسطاء، وهان عليهم بذل الأموال في الحصول على اليسير منها، (الإبداع ص ٩٦ ـ ٩٧).

عوداً باسمه[1] وإذا رجع على أعقابه، أو يقبل القبر، أو يحرك المراوح عليه، ليذب الذباب، كما يفعل الخدم مع أسيادهم الأحياء، أو ينصب عليه سرادقاً، أو يقبل عتبته، ويضع اليمنى على اليسرى، ويتضرع إليه، أو يجلس على ضريح سادناً وقيّماً، ويتأدب مع ما يحيط به من أشجار وآجام، وأعشاب، فلا يتعرض لها بإهانة أو إزالة، إلى غير ذلك من الأعمال والالتزامات، فقد تحقق عليه الشرك، ويسمى «إشراكاً في العبادة» سواءاً اعتقد أن هذه الأشياء تستحق التعظيم بنفسها، وأنها جديرة بذلك، أو اعتقد أن رضا الله في تعظيم هذه الأشياء، وأن الله يفرج الكرب ببركة هذا التعظيم.

علامات التعظيم الدال على العبودية والاستكانة، خاصة بالله تعالى:

الرابع أن الله علم عباده طرقاً يستقيم بها إيمانهم، وتنزل البركة في حياتهم الدنيا، وتتحقق بها مطالبهم، منها النذر لله في الشدة، ونزول البلاء، والنداء باسمه عند كربة وضيق، وافتتاح كل عمل باسمه، والذبح له حين يرزقون ولداً شكراً لله ـ تعالى ـ وتسميتهم بأسماء يتجلى فيها التوحيد والعبودية، كعبد الله، وعبد الرحمن، وهبة الله، وجاد المولى، وعطاء الله، وأمة الله، وعطية الرحمن[2]، وتخصيص جزء من حواصل المزارع وثمار البساتين باسم الله ـ تعالى ـ وتخصيص جزء من المال، والماشية، ونذره لله ـ تعالى ـ وتعظيم الهدي والقلائد لبيت الله، وامتثال أوامره، والانتهاء عن نواهيه في المأكل، والمشرب، والملبس، واعتقاد أن كل ما يصيبه من خير وشر، ومجاعة، ورخص وغلاء، وصحة وسقم، وفتح وهزيمة، وسعد وشقاء، ومساعدة الحظ وتخلفه، وحزن

(١) وهي من عادات الغلاة والجهال في الهند قاله أبو الحسن الندوي.

(٢) ذكر المؤلف هنا أسماء هندية تنطق بالتوحيد، وتنم عن العقيدة الصحيحة كـ «خدا بخش» يعني هبة الله، «الله ديا» يعني عطية الله، غيرناها بأسماء شائعة في بلاد العرب، تسهيلاً للقارىء العربي قاله أبو الحسن الندوي.

وفرح، كله في قبضته، والإحالة إلى مشيئته قبل ذكر إرادته، فيقول سأعمل كذا إذا شاء الله، وتعظيم اسمه تعظيماً تتجلى فيه قدرة الله، وعجز العبيد، فيقول مثلاً ربي، وسيدي، وخالقي، وإذا أراد أن يحلف يحلف باسمه، إلى غير ذلك من علامات التعظيم وشعائره، فمن أتى بذلك للأنبياء والأولياء والشهداء، والعفاريت والجنيات، مثلاً ينذر لها إذا ألمت به كربة، أو نزلت به ضائقة. أو ينادي بأسمائها عند مرضه أو نزاله أو يفتح عمله بأسمائها وإذا رزق ولداً، نذر لها نذوراً أو سمى أولاده، بعبد النبي، أو «إمام بخش» أو «بير بخش» ويخصص جزءاً من الحبوب أو الثمرات لها، ويقدم لها مما أخرجته الأرض من زروع وثمار، ثم يستعمله في أغراضه ويخصص من المال وقطعان الأنعام، أموالاً ودواباً ثم يتأدب معها فلا يضربها، ولا يزجرها عن العلف والتبن ولا يضربها بعصاً أو حجر أدباً وتعظيماً، ويتمسك بالعادات القديمة، والأعراف الشائعة في الأكل والشرب واللباس، ويتقيد بها كما يتقيد بأحكام الشريعة، فيحرم طعاماً ولباساً لأناس ويحظرهما على طبقة (كالذكور والإناث ويبيعهما لأخرى، فيقول: إن الطعام الفلاني لا يقربه الرجال)[1]، وإن الطعام الفلاني لا تقربه الجواري، ولا تقربه المرأة التي تزوجت بزوج ثان وإن الخبيص الذي يعد باسم الشيخ عبد الحق[2] لا يأكله من يستعمل النارجيلة[3] وينسب ما يحدث من خير وشر، وما

(١) نوع من الطبخ يطبخ في الهند باسم السيدة فاطمة بنت النبي ﷺ، يمنع منه الرجال دون النساء، فلا يأكلونه، ولا يقربونه قاله أبو الحسن الندوي.

(٢) يعني الشيخ عبد الحق الدهلوي من كبار المشايخ والمربين ومن أئمة الطريقة الجشتية في الهند، ولد ونشأ في «ردولي» من توابع لكناؤ، وكان له شأن رفيع في التوحيد وتعظيم الشريعة، والمحافظة على الفرائض والسنن، ودعاء الخلق إلى الله، والتجريد والتفريد، توفي سنة(٨٣٦هـ)، وقد اخترع الغلاة والجهال في الهند طعاماً خاصاً يسمونه بـ «زاد الشيخ عبد الحق» يركب من السميد والسكر، وله آداب وقيود يحافظ عليها بشدة. الخبيص: الحلواة المخبوصة وخبص الشيء بالشيء: خلطه. قاله أبو الحسن الندوي.

(٣) يعني الشيشة. قاله أبو الحسن الندوي.

ينتاب من بؤس ورخاء، إلى هؤلاء المشايخ والأولياء، فيقول: إن فلاناً أدركته لعنة فلان، فجن، وفلان طرده فلان فافتقر، وفلان أنعم عليه فلان فساعده الحظ، وحالفه الإقبال، وأصابت الناس المجاعة بنوء كذا، ونوء كذا، وفلان بدأ عمله يوم كذا، وفي ساعة كذا فلم يوفق، ولم يتم، أو يقول: إن شاء الله ورسوله كان كذا، أو يقول: إن شاء شيخي وقع كذا، أو يضفي على من يعظمه أسماء وصفات تختص بالله، وهي من نعوت العظمة والكبرياء، والغنى عن الخلق، والقدرة المطلقة، والجود الذي لا نهاية له، أو القهر والجبروت، مثل المعبود، وأغنى الأغنياء، وإله الآلهة، ومالك الملك، وملك الملوك، أو يحلف بالنبي، أو بعلي، أو بأحد أولاده (الذين يسميهم الشيعة الأئمة الاثني عشر) أو بشيخ، أو بقبره، كل ذلك يتحقق منه الشرك ويسمى «الإشراك في العبادة» يعني أن يعظم غير الله في الأعمال التي اعتادها تعظيماً، لا يليق إلا بالله.

وهذه الأنواع الأربعة للشرك، قد جاء ذكرها صريحاً في القرآن والحديث»[1].

بعد ذكر هذه النماذج التي أوردها علماء الحنفية لبيان أن الشرك واقع في هذه الأمة، يتبين لك أن كل هذا يدحض قول من زعم أن الشرك الأكبر لا يمكن أن يظهر في أمة محمد، ﷺ، ويتضح لكل ذي لب أن صوراً متنوعة ومتعددة من الشرك الأكبر قد وقعت وتقع في أمة محمد، ﷺ، ويكفي للتدليل على وقوعه قول النبي ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان»**[2] وفي لفظ **«حتى يعبد فئات من أمتي الأوثان»**.

---

(١) رسالة التوحيد ص (٢٥ ـ ٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها ح (٤٢٥٢) وأصله عند مسلم (٤/ ٢٢١٥) وقال الألباني عنه في تحذير الساجد ص (١٢٠) (على شرط مسلم).

وقوله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة**»[(١)] وكانت صنماً تعبدها دوس في الجاهلية بتبالة.

وقوله ﷺ: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبَد اللات والعزى..**»[(٢)].

فهذه الأمور المذكورة في الأحاديث وإن لم تقع بظاهرها حتى الآن فإنها واقعة لا شك ولكن قد ظهر في الأمة عبادة المخلوقين من أولياء وغيرهم وصرف العبادة إليهم من ذبح ونذر ودعاء واستغاثة وغير ذلك وهذا شرك أكبر لا ينكره إلا جاحد.

وقد حذر النبي ﷺ من الشرك الذي لا ينتبه إليه كثير من الناس حيث قال: «**أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن باب تغير الزمان حتى تُعبد الأوثان (١٣/٧٦) ح (٧١١٦) ومسلم كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة (٤/٢٢٣٠) ح (٢٩٠٦) كلاهما من طريق ابن المسيب عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة (٤/٢٢٣٠) ح (٢٩٠٧) من طريق أبي سلمة عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٣) أخرجه أحمد (٤/٤٠٣) وابن أبي شيبة في المصنف (٦/٧٠ ـ ٧١) ح (٢٩٥٤٧) باب التعوذ من الشرك، والبخاري في التاريخ الكبير (٥٨ كنى) جميعهم من طريق رجل من بني كاهل عن أبي موسى الأشعري، قال الهيثمي في المجمع (١٠/٢٢٣): (رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي ووثقه ابن حبان).
وأبو يعلى في مسنده (١/٦٠ ـ ٦٢) ح (٥٤ ـ ٥٥ ـ ٥٦) من حديث حذيفة عن أبي بكر مرفوعاً ومن حديث معقل بن يسار عنه مرفوعاً وذكره الحافظ في المطالب (٣/١٨٣) وعزاه إلى مسند إسحاق بن راهويه ورواه أبو بكر المروزي في مسند أبي بكر ص (٥٥) والبخاري في الأدب المفرد ص (١٠٥) من رواية معقل عن أبي بكر مرفوعاً رواه الحكيم الترمذي ص (٣٩٧) قال الهيثمي في المجمع (١٠/٢٢٤) (رواه أبو يعلى عن شيخه عمرو بن الحصين العقلي=

فإن قال قائل: كيف يقر إنسان بالخالق - سبحانه وتعالى - وبالقيامة وبالبعث وبشرائع الإسلام، ثم تطلقون عليه الكفر أو الشرك لكونه معتقداً في مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله أو هاتفاً باسمه داعياً له؟ هذا مع أنهم لا يرضون بتسميتهم مشركين، بل ينفرون من ذلك أشد النفور.

فالجواب أن يقال: إن المسلم قد يطرأ عليه من الاعتقادات الفاسدة كاعتقاد التأثير في كوكب أو اعتقاد النفع والضر لمخلوق وغير ذلك، أو قد يطرأ عليه أعمال كالسجود لغير الله وغير ذلك فهذه الأمور وما يشاكلها ترفع عنه اسم الإسلام، وتخلع عليه اسم الكفر والشرك ويصير بذلك مشركاً مرتداً، وإلا فكيف كفّر الصحابة منكري الزكاة وقاتلوهم وأجمعوا على ردتهم بذلك؟، وما معنى كتاب الردة؟ وما معنى قوله ﷺ: «**لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى خصال ثلاث.. والتارك لدينه..**»[1] وقوله: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[2].

فكيف يقال بعد ذلك أن المسلم لا يقع منه شرك أبداً وأن من اتصف باسم الإسلام لا يمكن أن يطرأ عليه كفر أو شرك ناقل عن اسم الإسلام. وإنما غاية ما يقال إنه لا يطلق على المسلم المعين اسم الشرك والكفر إلا بعد بيان النصوص له وإقامة الحجة عليه بحيث لا يكون له شبهة جهل أو تأوُّل أو غير ذلك، فإن لم يبق له حجة ولم يبق ثم إلا العناد والجحود والمكابرة والإصرار فهو لا شك حينئذ مستحق لاسم الشرك والكفر.

ولا يظنن ظانّ أننا بهذا نتعجل في تكفير الناس الموحدين

= وهو متروك) وقال الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٩٤) ح (٣٧٣١) صحيح، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١١٢) من حديث قيس بن حازم عن أبي بكر وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٩٣) ح (٣٧٣٠).

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٣٨) كتاب الديات، ومسلم (٣/ ١٣٠٢) رقم (١٦٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٥٠) كتاب استتابة المرتدين.

وإطلاق اسم الشرك عليهم فإن ألفاظ الشرك والكفر ألفاظ وردت في الشرع، ولا تطلق إلا بضوابطها الشرعية وكما لا يجوز تكفير المسلم بغير حق، كذلك لا يصح عدم تكفير المشرك فعلاً أو من ارتد عن الإسلام حقاً، وقد وجد في السلف من كفر أناساً بأعيانهم لأنهم استحقوا اسم الشرك والكفر، وإلا فهل يتصور أن نحجم عن إطلاق اسم الكفر عمن قال: أنا أنطق بالشهادتين وأصلي وأصوم، وأزكي وأحج، لكني أقول إن أحمد القادياني رسول من عند الله أو أقول إن روح الإله حلت في جسد السيد البدوي.. إلخ؟

إن الحق أعز وأغلى من كل أحد، ولا ينبغي أن تكون تهمة التكفير سيفاً مسلطاً على رقاب أهل الحق يمنعهم من إطلاق اسم الكفر على من يستحقه، مع تحقق الشروط الشرعية كالعلم من جانب فاعل الشيء وانتفاء الموانع كالإكراه مثلاً.

وللعلامة الألوسي الحنفي كلام في غاية من الدقة والاحتياط في تكفير القبورية عبدة القبور وأصحابها مؤيداً كلامه بتحقيقات الشيخ ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في عدم التسرع في التكفير إلا بعد إقامة الحجة وإظهار المحجة قال ـ رحمه الله ـ: (وعباد القبور لم يتوقف أحد من أهل العلم ـ الذين يرجع إليهم ـ في كفرهم. غاية ما قالوا لا يقتل حتى يستتاب ولا يُكفّر حتى تقوم عليه الحجة أو نحو هذا الكلام والمسلمون لم يكفّرهم أحد من أهل العلم ولشيخ الإسلام نصوص أخرى ننقلها تتميماً للفائدة)[1]. ثم ساق عدة نصوص لشيخ الإسلام في تحقيق هذه المسألة.

ولأبي غدة الحنفي تحقيق مهم في عدم التسرع في التكفير إلا بعد إقامة الحجة على من يرتكب الكفر أو الشرك مؤيداً كلامه بتحقيقات نفيسة لشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم من الحنفية وغيرهم.

---

(١) انظر غاية الأماني (١/ ٣٠ ـ ٣٦).

وحاصل كلامه أنه لا يجوز تكفير أهل البدع إلا إذا ارتكبوا كفراً بواحاً وشركاً صراحاً وأنكروا ما هو من ضروريات الدين ويقام عليه الحجة ويتضح له المحجة. فبعد ذلك يحكم بكفره وارتداده وخروجه عن ملة الإسلام[١].

*** قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:**

(وأصل ذلك أن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع، يقال هي كفر قولاً يطلق كما دلت على ذلك الدلائل الشرعية، فإن الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله ليس بذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير وتنتفي موانعه مثل من قال إن الخمر أو الربا حلال لقرب عهده بالإسلام أو لنشوئه في بادية بعيدة أو سمع كلاماً أنكره ولم يعتقد أنه من القرآن الكريم ولا أنه من أحاديث رسول الله، ﷺ، كما كان بعض السلف ينكر أشياء حتى تثبت عنده أن النبي، ﷺ، قالها، إلى أن قال: فإن هؤلاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجة بالرسالة كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[٢] وقد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان)[٣].

*** وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:**

«وأما التكفير فالصواب أن من اجتهد من أمة محمد، ﷺ، وقصد الحق فأخطأ لم يكفر بل يغفر له خطؤه ومن تبين له ما جاء به الرسول فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر ومن اتبع هواه وقصر في طلب الحق وتكلم بلا

---

(١) انظر التتمة الخاصة من تتمات أبي غدة في آخر كتاب الموقظة للذهبي ص (١٤٧ ـ ١٦٥).

(٢) سورة النساء، الآية: (١٦٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٦٥).

علم فهو عاص مذنب ثم قد يكون فاسقاً وقد يكون له حسنات ترجح على سيئاته»[١] ا.هـ.

وقال في موضع آخر: «هذا مع أني دائماً ومن جالسني يعلم ذلك مني أني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير، وتفسيق، ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية. وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد بالكفر، ولا بفسق، ولا معصية. وذكر أمثلة ثم قال:

وكنت أبين أن ما نقل عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضاً حق لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين، إلى أن قال:

والتكفير هو من الوعيد، فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول، ﷺ، لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام أو نشأ ببادية بعيدة ومثل هذا لا يُكفّر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها، ولم تثبت عنده أو عارضها عنده معارض آخر، أوجب تأويلها وإن كان مخطئاً.

وكنت دائماً أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال: **«إذا أنا مت فاحرقوني ثم اسحقوني ثم ذرّوني في اليم فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين. ففعلوا به ذلك فقال الله: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك فغفر له»**[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤/١٤٤، ١٥١) كتاب الأنبياء، ومسلم (٤/٢١١٠) رقم (٢٧٥٦).

فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا أذري بل اعتقد أنه لا يعاد وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك.

والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول، ﷺ، أولى بالمغفرة من مثل هذا»[١] ا.هـ.

*** قال الشيخ ابن عثيمين:**

«فإن قال قائل هل تكفّرون أهل التأويل أو تفسقونهم؟ قلنا: الحكم بالتكفير والتفسيق ليس إلينا بل هو إلى الله ـ تعالى ـ ورسوله، ﷺ، فهو من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنَّة، فيجب التثبت فيه غاية التثبت فلا يكفر ولا يفسّق إلا من دل الكتاب والسنة على كفره أو فسقه والأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي. ولا يجوز التساهل في تكفيره أو تفسيقه لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب على الله ـ تعالى ـ في الحكم وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به.

الثاني: الوقوع فيما نبز به أخاه إن كان سالماً منه. ففي صحيح مسلم[٢] عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: «**إذا كفّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما**»[٣].

وفي رواية: «**إن كان كما قال وإلا رجعت عليه**»[٤] وفيه عند أبي

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٩).

(٢) كتاب الإيمان باب بيان حال من قال لأخيه المسلم: يا كافر (١/ ٧٩) ح (١١١).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٧٩) رقم (٦٠).

(٤) كتاب الإيمان باب بيان حال من قال لأخيه المسلم: يا كافر (١/ ٧٩).

ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «**ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه**»(١).

وعلى هذا فيجب قبل الحكم على المسلم بكفر أو فسق أن ينظر في أمرين:

أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل موجب للكفر أو الفسق.

الثاني: انطباق هذا الحكم على القائل المعين أو الفاعل بالمعين بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقه وتنتفي الموانع ومن أهم الشروط أن يكون عالماً بمخالفته التي أوجبت أن يكون كافراً أو فاسقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾(٢).

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾(٣).

ولهذا قال أهل العلم: لا يكفّر جاحد الفرائض إذا كان حديث عهد بإسلام حتى يبين له ومن الموانع أن يقع بما يوجب الكفر أو الفسق بغير إرادة منه ولذلك صور، منها: أن يكره على ذلك فيفعله لداعي الإكراه لا اطمئناناً به فلا يكفر حينئذ.

لقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرًا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ مِّنَ

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بيان حال من قال لأخيه المسلم: يا كافر (١/ ٧٩) ح (١١٢).

(٢) سورة النساء، الآية: (١١٥).

(٣) سورة التوبة، الآيتان: (١١٥، ١١٦).

ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾﴾[١]. ومنها أن يغلق عليه فكره فلا يدري ما يقول لشدة فرح أو حزن أو خوف أو نحو ذلك. ودليله ما ثبت في صحيح مسلم[٢] عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال، قال رسول الله ﷺ: **«لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح»**[٣].

ومن هذا يتبين لنا كلام أهل العلم وضوابطهم الشرعية في مسألة التكفير والله أعلم.

---

(١) سورة النحل، الآية: (١٠٦).

(٢) صحيح مسلم (٤/٢١٠٤) كتاب التوبة حديث رقم (٢٧٤٧).

(٣) القواعد المثلى في صفات الله الحسنى (١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩). والحديث أخرجه البخاري (٧/١٤٦) كتاب الدعوات، ومسلم (٤/٢١٠٤) رقم (٢٧٤٧).

الخاتمـــة

لقد تعددت نتائج هذا البحث بحسب ما عرض فيه من القضايا.

ومن أهم هذه النتائج:

١ ـ أن لعلماء الحنفية جهوداً مشكورة في الرد على أهل البدع القبورية وبيان الشرك وأنواعه ووسائله ومظاهره في بعض المجتمعات الإسلامية.

٢ ـ أن كثيراً من المسلمين يجهلون حقيقة التوحيد لذا وقعوا في أنواع الشرك من حيث لا يشعرون.

٣ ـ أن مفهوم الشرك عند بعض المسلمين هو عبادة الحجر والشجر والصنم فقط لذا أشركوا مع الله في الطاعة والانقياد والمحبة والعبادة وما حصل ذلك منهم إلا لجهلهم بحقيقة العبودية والشرك.

٤ ـ أن الشرك بكل صوره ومظاهره ليس إلا امتهاناً للإنسان وإذلالاً له حيث يلزمه الخضوع للمخلوقات والعبودية للأشخاص وهم لا يملكون ضرًا ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولاحياة ولا نشوراً.

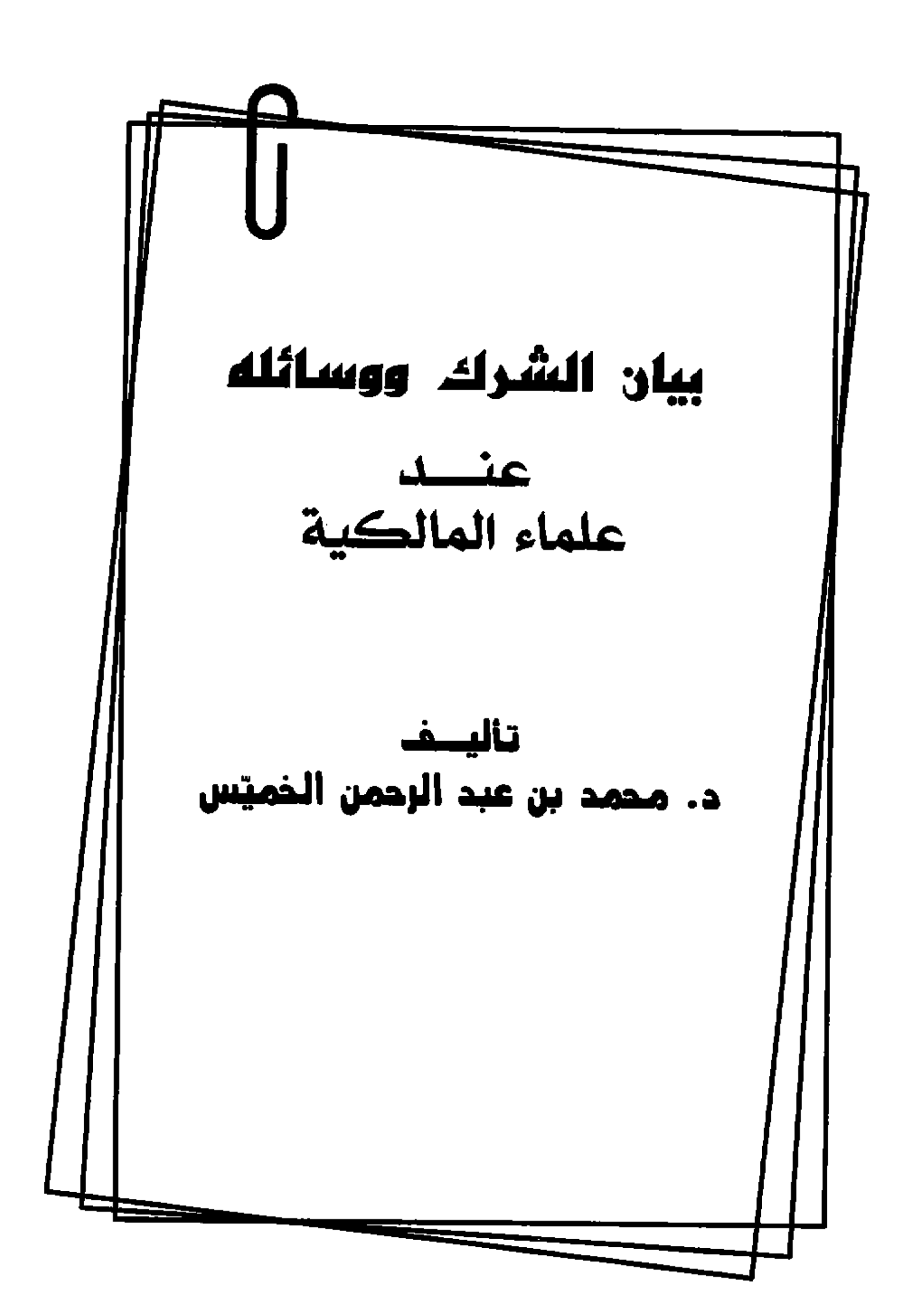
٥ ـ أن الشارع احتاط أعظم الحيطة من كل قول وفعل وقصد يكون شركاً أو وسيلة إلى الشرك.

 وفي الختام:

فهذا جهد المقل فلا بد من خلل وهفوة فإن التقصير والعيب من صفات المخلوقين فرجائي من القارىء الكريم التماس العذر لكل نقص وهفوة.

والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يوفقنا جميعاً لهدي كتابه والسير على سنة رسوله، صلى الله وسلَّم على نبينا محمد والله من وراء القصد.

وهو حسبنا ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

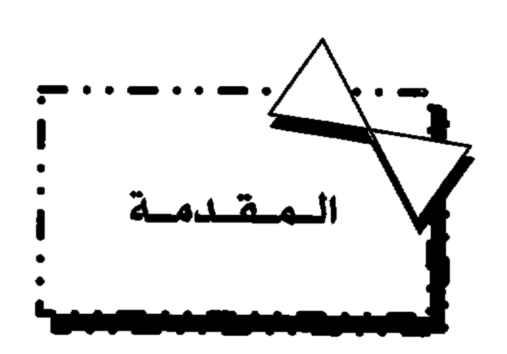


بيان الشرك ووسائله

عنـــد
علماء المالكية

تأليـــف

د. محمد بن عبد الرحمن الخميّس



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[(١)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[(٢)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[(٣)].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد، ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).
(٢) سورة النساء، الآية: (١).
(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: (٧٠، ٧١).

ثم أما بعد:

فمنذ أن أشرقت أنوار الحق ببعثة النبي، ﷺ، وأذن الله تعالى باكتمال الدين الحق، ساء ذلك أعداء الله على اختلاف نحلهم، فاليهود الذين كانوا يرقبون بعثته، ﷺ، كفروا به وأنكروا نبوته وناوؤوه، والفرس والروم رأوا في دعوته تهديداً لسلطانهم الظالم، فناصبوه العداء، ومن بعد ذلك جحافل التتر الجرارة التي اكتسحت رقعة واسعة من بلاد الإسلام، ثم الحملات المتكررة للصليبيين الحاقدين على بلاد الإسلام، والتي ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا بصور متنوعة، كل هؤلاء وغيرهم حاربوا دين الله عز وجل وما زالوا، وقد لجأوا إلى أساليب خبيثة في ذلك الصراع منها تظاهر بعضهم بالدخول في الإسلام حتى يكيد له من داخله، وهؤلاء شر الأصناف وضررهم أعظم الأضرار، ومن هؤلاء الذين زينوا لجهال هذه الأمة الشرك من جديد في ثوب التعظيم للمقبورين من الصالحين، كما هو واقع ومشهود عند كثير من المنتسبين للتصوف، وعباد القبور من الجهال الموجودين في معظم أقطار الإسلام، فهؤلاء قد بدلوا دين الله تعالى، وأحيوا ميتاً من الشرك، وبعثوه من جديد ينخر في جسد الأمة مبعداً لها عن دين الله عز وجل، وقد حسنوا ذلك للعوام بوسائل متعددة كبناء القباب على القبور وتزويقها، وإيقاد السرج وغير ذلك، وجعلوا لها سدنة هم في حقيقة أمرهم كهنة للأوثان، يغرون الناس بدعائها وطلب الحوائج منها، واخترعوا الحكايات العجيبة التي تبين قدرتهم المزعومة، وإمكاناتهم الخارقة، فأغروا الناس بذلك، وألفوا لهم الكتب ودبجوا لهم القصائد، ووضعوا لهم أحاديث مختلفة، كل ذلك لإغرائهم وتزيين الكفر لهم قبحهم الله تعالى.

ثم إن هذا الداء قد استشرى وعم معظم أقطار الإسلام إلاَّ ما ندر، ولم ينج ذلك القليل إلا بفضل الله تعالى، ثم بجهود الصالحين من العلماء العاملين وغيرهم ممن حفظ الله بهم الدين، وأتم بهم المنة، غير أن عامة البلدان قد فتك بها هذا الداء الوبيل فتكاً ذريعاً

أفضىٰ الأمر بالكثيرين منهم إلى الوقوع في الشرك الصريح الناقل عن الملة، فطلبوا الحوائج من غير الله، ولجأوا إليه في جلب النفع، ودفع الضر، وتجاوز الأمر ذلك حتى بلغ ببعضهم إلى درجة تعظيم شجرة أو حجر، وعادوا كما كان أهل الجاهلية الأولىٰ، وشدت الرحال إلى الأضرحة، واكتظت خزائنها بالأموال، وكثر عندها الاختلاط، وضجوا بالصريخ يستغيثون بالمقبورين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم إن بعض مدّعي العلم قد زين لهم مثل هذه الشركيات وحسّنها لهم وشجّعهم عليها مما شجّع العامة على الوقوع فيها انخداعاً بأدعياء العلم هؤلاء، حتى لقد انقسم المنتسبون إلى العلم بإزاء تلك الشركيات ثلاثة أقسام:

الأول: مؤيِّد لتلك الشركيات مشجِّع عليها، داع إليها، مؤلِّف في نصرة مذهبه لذلك؛ ولا سيما إن كانت له منافع مادية من وراء ذلك.

الثاني: عالم بضلال هؤلاء، وبطلان ما هم عليه، لكنه كاتم للحق جبناً، أو رغبة أو رهبة أو غير ذلك، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

الثالث: عالم بالحق، صادع به، قائم في محاربة هذه البدع الشركية والخرافات العقدية يدعو الناس إلى التوحيد الصافي، وإلى ما كان عليه رسول الله، ﷺ، وأصحابه وتابعوهم، لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يرجو إلا وجه الله ـ عز وجل ـ.

وهم قلة رغم اختلاف مذاهبهم في الفروع حتى ظهر من كل المذاهب الأربعة من نصر الدين وحذر من الشرك ودعا الناس إلى التوحيد.

وقد قدمنا طرفاً من كتاب مستقل، يوضح طرفاً من جهود بعض علماء الحنفية في التحذير من الشرك ووسائله، وها نحن نقدم اليوم بعضاً من جهود علماء المالكية في هذا المضمار، ثم نتبعه إن شاء الله تعالى ببيان جهود علماء الشافعية حسبما ييسر الله ـ تعالى ـ وما كان في الوسع المزيد.

المالكية: هم المنتسبون في الفروع إلى إمام المدينة مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ.

وهو: مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني الحميري، إمام دار الهجرة، أحد رؤساء المتقين وكبير المثبتين[١]، وأحد الأئمة الأربعة المتبوعين المشهورين، مولده ونشأته ووفاته بالمدينة النبوية، وكان رحمه الله صلب الدين، متباعداً عن الولاة والسلاطين، صداعاً بالحق لا يخاف في الله لومة لائم، وكان جامعاً بين الفقه العميق والنظر الثاقب والدراية التامة بحديث النبي، ﷺ، مهيباً عالماً ثبتاً، «وقد اعتد في مذهبه بعمل أهل المدينة حيث اعتبر أنهم متمسكون بما رأوا عليه آباءهم وأجدادهم الذين صحبوا النبي، ﷺ، وعاينوا أحواله وقلّدوه في أمور دينه، فاعتد كذلك بما هم عليه من أمور الدين»[٢] وقد انتشر مذهبه في كثير من أقطار الإسلام بعد المدينة، فانتشر في مصر وشمال إفريقيا والأندلس وغرب إفريقيا، وما زال المذهب الرسمي في عدد من أقطار الإسلام حتى يومنا هذا، وقد توفي رحمه الله بالمدينة سنة ١٧٩هـ بعد أن بذل معظم سني حياته لخدمة الدين، بفروعه المتعددة رحمه الله وأجزل مثوبته[٣].

وقد قسمت الموضوع إلى أربعة مباحث:

الأول: تعريف الشرك عند بعض علماء المالكية.

الثاني: أنواع الشرك عند علماء المالكية.

الثالث: وسائل الشرك التي حذر منها علماء المالكية لحماية جناب التوحيد.

---

(١) تقريب التهذيب (٢/٢٢٣/٨٥٩).

(٢) انظر مقدمة ابن خلدون ص (٤٤٧) دار إحياء التراث العربي.

(٣) لترجمته انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٨/٤٣ ـ ١٢١)، تهذيب التهذيب لابن حجر (١٠/٥ ـ ٩). طبقات الحفاظ للسيوطي ص (٩٥، ٩٦).

الرابع: نماذج من الشرك التي حذر منها علماء المالكية.

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، ويتقبّله مني وهو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحـــث الأول
تعريف الشرك عند بعض علماء المالكية

قال القاضي عياض في (مشارق الأنوار) مادة (ش ر ك):

ذكر الشركة بفتح الشين وكسر الراء، والشرك في البيع وغيره معلوم، وقوله فيه شرك بكسر الشين من الاشتراك والشرك والشركة والاشتراك واحد، والشرك أيضاً النصيب، والشرك أيضاً الشريك، قاله الأزهري في تفسير: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾ فأشركته في ماله كذا لهم، يقال: شركته وأشركه وأشركته وأشركه. اهـ[١].

وقال ابن عاشور في بيان معنى الشرك اصطلاحاً: «إشراك غير الله مع الله في اعتقاد الإلٰهية وفي العبادة»[٢].

وقال ابن عطية: «الذين كفروا في هذا الموضع هم كل من عبد شيئاً سوى الله قال قتادة هم أهل الشرك خاصة»[٣].

قال الميلي المالكي: «وكما لا تقتضي الشركة لغة تساوي الشركاء في الحصص، لا يقتضي الشرك شرعاً مساواة الشريك لله في جميع صفاته أو في صفة منها، بل يسمى المرء مشركاً عند الشارع

---

(١) مشارق الأنوار (٢/٢٤٨).
(٢) التحرير والتنوير (٧/ ٣٣٢).
(٣) المحرر الوجيز (٦/٣).

بإثباته شريكاً لله ولو جعله دونه في القدرة والعلم مثلاً، فأمّا حكايته تعالى عن المشركين قولهم: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾[١]. فالتسوية قولهم فيه تسوية في الطاعة والانقياد، لا في القدرة على الخلق والإيجاد، فهي كآية البقرة: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾.

إنَّ الله جلَّ وعلا، لا يقبل أن يُشرَكَ به الأبرار ولا الفجّار، ولا الأشجار، ولا الأحجار، ولا يرضىٰ شركة عظيم في القدر والمنزلة، كمن أنعم عليهم، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولا شركة عظيم في الخلق والحجم، كالشمس والقمر، وسائر الكواكب، وقد ردَّ القرآن كل شرك، كيفما كان اعتباره من القوة والضعف.

قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾، ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾، ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ؟﴾. هذا بياننا للشرك الشرعي، فإن كان فيه طول فإنا نقصد فيما نبسط إفهام العامة وإفحام المعاندين[٢].

ولقد عرف الإمام مالك الطاغوت بأنه: «كل ما عبد من دون الله»[٣].

والطاغوت هو كل ما طغا وتجاوز الحد، ونعلم أن الإسلام لا يصح للعبد إلا بأن يكفر بالطاغوت أولاً كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾[٤]

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: (٩٧، ٩٨).

(٢) رسالة الشرك ص (٦٤ ـ ٦٥).

(٣) فتح المجيد ص (٥٦٦).

(٤) سورة البقرة، الآية: (٢٥٦).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[١]، فلا بد للمسلم أن يكفر أولاً بكل طاغوت معبود من دون الله، أو مطاع في معصية الله، أو متحاكم إليه دون حكم الله، أو معظم دون الله، هذا الكفر بالطاغوت ينبغي تحقيقه قبل الإيمان بالله تعالى إذ محال أن يجتمع إيمان بالله وبالطاغوت في قلب إنسان.

بل إن هذه الطواغيت تأتي يوم القيامة فتتبرأ من عبادها الذين عبدوها من دون الله كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾[٢].

فالواجب على المسلم الكفر بالطاغوت والبراءة من أهله ومعاداتهم وبغضهم حتى يرجعوا إلى الله تعالى ويتوبوا إليه بالإسلام، كما قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام إذ قال لأبيه وقومه: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[٣].

فمن خلال كلام الإمام مالك رحمه الله يتّضح أن الطاغوت عنده يشمل كل ما عبد من دون الله، فالهوى طاغوت، والشيطان طاغوت، والشجر المعبود طاغوت، والحجر طاغوت والحاكم المبدل طاغوت، ومن أمر الناس بطاعته في معصية الله طاغوت، وهكذا كل ما عبد من دون الله، غير أن مالكاً رحمه الله قيدها في بعض الروايات فقال، (وهو راض) حتى لا تشمل من عبدوا دون رضاهم: كالمسيح، وأمه، والعزير، وغيرهم عليهم السلام.

(١) سورة النحل، الآية: (٣٦)..
(٢) سورة البقرة، الآية: (١٦٦).
(٣) سورة الممتحنة، الآية: (٤).

المبحث الثاني
أقسام الشرك عند بعض علماء المالكية

والشرك هو ضد التوحيد كما سلف، فالواجب على المسلم أن يعرف الشرك بأنواعه الأكبر والأصغر، الظاهر والخفي، حتى يتجنبها كلها فيسلم له دينه، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة هذه الأنواع والحذر منها ومن منافذها ومداخلها، وسد الطرق الموصلة إليها.

قال الإمام الحافظ ابن العربي المالكي:

«الشرك على أقسام، ويعود ذلك إلى قسمين: قسم في الاعتقاد، وقسم في العمل، فإن كان الشرك في الاعتقاد[1]، فلا خلاص ولا قصاص، وإن كان الشرك في العمل[2] رجي الخلاص»[3].

---

(١) كاعتقاد وجود إله مكافىء لله تعالى، أو اعتقاد ربوبية غيره، أو اعتقاد شبيه له في أسمائه وصفاته وأفعاله كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والتصرف والتدبير واستحقاق العبادة وغير ذلك والأدلة أكثر من أن تحصىٰ كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى، الآية: (١١)].

(٢) ليس كل شرك في العمل يرجى الخلاص من وباله، إذ أن صرف العبادة لغير الله تعالى هو شرك في العمل، لكنه يقوم على أساس شرك في الاعتقاد، وهذا لا يرجى منه الخلاص، ولعل الشيخ رحمه الله يقصد أمور الشرك الأصغر غير المكفرة: كالحلف بغير الله، أو يسير الرياء وغير ذلك، وبهذا فلا إشكال في المسألة.

(٣) عارضه الأحوذي (١٠/١٠٦).

قال الميلي المالكي:

«وأقسام الشرك، قد استوفتها آية سبأ. قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾. فجعلت الآية أقسام الشرك أربعة، ونفتها كلها، ولنضع لكل قسم اسماً يمتاز به.

الأول: شرك الاحتياز، فنفى سبحانه أن يكون غيره مالكاً لشيء يستقل به، ولو كان في الحقارة مثقال ذرة في العالم العلوي، أو في العالم السفلي[(١)].

الثاني: شرك الشياع، فنفى سبحانه أن يكون لغيره نصيب يشاركه فيه كيفما كان هذا النصيب، في المكان والمكانة[(٢)].

---

(١) كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [سورة فاطر، الآية: (١٣)] وكما قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [سورة الفرقان، الآية: (٣)] وكما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة النحل، الآية: (٧٣)] وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ [سورة العنكبوت، الآية: (١٧)]. قال السعدي رحمه الله في تفسيره: «تيسير الكريم المنان» (٢٢١/٤) عند الآية (٧٣) من سورة النحل: (يخبر الله تعالى عن جهل المشركين وظلمهم أنهم يعبدون من دونه آلهة اتخذوها شركاء لله، والحال أنهم لا يملكون لهم رزقاً من السموات والأرض، فلا ينزلون مطراً، ولا رزقاً، ولا ينبتون من نبات الأرض شيئاً، ولا يملكون مثقال ذرة في السموات والأرض، ولا يستطيعون لو أرادوا، فإن غير المالك للشيء ربما كان به قوة واقتدار على ما ينفع من يتصل له وهؤلاء لا يملكون ولا يقدرون، فهذه صفة آلهتهم كيف جعلوها مع الله وشبهوها بمالك الأرض والسموات، الذي له الملك كله والحمد كله والقوة كلها) اهـ.

(٢) كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ =

الثالث[(١)]: شرك الإعانة، فنفى جل شأنه أن يكون له ظهير ومعين من غير أن يملك معه، كما يعين أحدنا مالك متاع، على حمله مثلاً.

الرابع[(٢)]: شرك الشفاعة، فنفى تعالى أن يوجد من يتقدّم بين يديه يدل بجاهه ليخلص أحداً بشفاعته، فهو تعالى لم يقبل من أقسام الشركة حتى ضعفها وأخفاها، وهي الشركة بالجاه في تحصيل السلامة والنجاة، إلا بعد الإذن للشفيع، وتعيين المشفوع له. وحينئذ لا تكون في الشفاعة رائحة الشركة، بل الشفاعة كغيرها من وجوه النفع، هي: لله وحده، ولم يخرج عن الآية شيء من أقسام الشركة لأن الشريك إما في الملك، وإما في التصرف.

= ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة، الآية: (١٦٥)] فلا يوجد مخلوق يشارك الله تعالى في شيء لا في أفعاله، ولا صفاته، ولا حقوقه ولا غير ذلك. وبما أنه المتفرد بالخلق، فإنه المتفرد بالملك والأمر والتصريف واستحقاق العبادة، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: (٥٤)].

(١) كما قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سورة سبأ، الآية: (٢٢)]، فليس لله تعالى ظهير ولا معين في تصريف ملكه، فإن الملوك المخلوقين هم الذين يستعينون بغيرهم في إدارة شؤون ملكهم لعدم قدرتهم على الانفراد بتدبيره غير أن هذا منتفٍ في حق الله تعالى، بل إن وجود هذا الشيء علامة نقص، وصفته، والله تعالى متفرد بصفات الكمال، متنزه عن صفات النقص.

(٢) كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: (٢٨)] وقال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [سورة الزمر، الآية: (٤٤)] وقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سورة سبأ، الآية: (٢٣)] فإن الملوك المخلوقين إنما يقبلون شفاعة الشافعين لحاجتهم إليه في تدبير أمر ملكهم وتصريفه، ولا يحبون ردها خوفاً من فقد ودِّ الشفعاء ومعونتهم لكن الله تعالى مستغن عن الظهير والمعين، متفرِّد بالخلق والتكوين والتدبير والتصريف، لهذا لا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له، أما غير ذلك فلا، فالشفاعة إذاً ملك لله تعالى، وهو الآذن فيها، وهكذا نرى أن الآية اشتملت على نفي الشرك بجميع صوره ودرجاته، فسبحان الله!

والأول: إما أن يختار قسطه، وإما أن يكون على الشياع.

والثاني: إما أن يعين المالك، وإما أن يعين أحداً عند المالك، فتلك الأقسام الأربعة مرتبة ترتيبها في الآية. وتلك الأقسام على ظهورها من الآية، لم أر من أعرب عنها هذا الإعراب.

بعد هذا البيان نلحظ أن الشيخ رحمه الله لم يعرج على الكلام عن شرك الألوهية، وتوحيد الألوهية هو أصل دين الإسلام، وهو الذي وقعت لأجله الخصومة بين الرسل وأقوامهم، وهو الذي به بعثت جميع الرسل كما قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[1].

وهذا قصور منه ـ رحمه الله تعالى ـ حيث اهتم ببيان الشرك فيما يتعلق بأمر الربوبية، وأهمل الكلام عن الشرك في الألوهية والعبادة، وكان الأولى التركيز عليه حيث إن شرك عامة الأمم في باب الألوهية وليس الربوبية.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: (٢٥).

المبحث الثالث
سد الذرائع الموصلة إلى الشرك
عند علماء المالكية

قبل أن نشرع في بيان الذرائع الموصلة إلى الشرك عند علماء المالكية نبين معنى الذرائع كما هي في كتبهم.

قال الشاطبي: «حقيقة الذرائع التوسل بما هو مصلحة إلى مفسدة»[١].

وقال القرطبي: «الذريعة عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع»[٢].

وجاء عن **الإمام مالك** وبعض أتباعه النهي عن ما هو من وسائل الشرك: كتجصيص القبور[٣] وتعليتها[٤]،

---

(١) الموافقات: (٤/١٩٨).

(٢) تفسير القرطبي (٢/٥٨).

(٣) لما أخرجه مسلم وغيره قال: **«نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناء»** ولمعرفة موقف مالك رحمه الله وكثير من أتباعه من هذه القضايا راجع المدونة (١/١٨٩) كتاب الكافي لابن عبد البر (١/ ٢٨٣)، وتنوير المقالة (٣/٤٠) والثمر الداني (٢٣٠) وتفسير القرطبي (١٠/ ٣٨٠).

(٤) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر: قال: **«نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص**=

والكتابة عليها[١]، والبناء عليها[٢]، واتخاذها مساجد[٣]، واستقبالها للدعاء[٤]، والسجود عليها[٥]، والصلاة عليها[٦]، وشدّ الرحال إلى غير المساجد الثلاثة[٧].

= **القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنىٰ عليه بناء»**. ولمعرفة موقف مالك رحمه الله وأتباعه من هذه القضايا راجع المدونة (١/ ١٨٩) وتنوير المقالة (٣/ ٤٠) والثمر الداني ص (٢٣٠) وتفسير القرطبي (١٠/ ٣٨٠ ـ ٣٨١).

(١) لما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبي ﷺ: **«نهىٰ أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها»** ولمعرفة موقف الإمام مالك رحمه الله وكثير من أتباعه راجع فتح المجيد ص (٣٢٣).

(٢) لما أخرجه مسلم عن جابر قال: «نهىٰ رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه بناء» ولمعرفة موقف مالك وأتباعه راجع المدونة (١/ ١٨٩) المعيار المعرب (١/ ٣١٧، ٣١٨) وتنوير المقالة (٣/ ٣٩)، والثمر الداني (٢٣١)، وتفسير القرطبي (١٠/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠)، فتح المجيد ص (٣٢٣)، تيسير العزيز الحمد ص (٣٢٣، ٣٢٤)، والكافي لابن عبد البر (١/ ٢٨٣).

(٣) قال النبي ﷺ: **«لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ـ يحذر ما صنعوا»** متفق عليه، وقال: **«ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك»** أخرجه مسلم وغيره.

ولمعرفة موقف المالكية في التمهيد (١/ ١٦٨، ٥/ ٤٥)، والمنتقى (٧/ ١٩٥) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٨٠)، شرح موطأ مالك للزرقاني (٤/ ٢٣٣، ١٢/ ٣٥١)، وتيسير العزيز الحميد ص (٣٤٠)، والمنتقىٰ (١/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧).

(٤) أخرج مسلم وغيره أن النبي ﷺ قال: **«لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا عليها»**.

ولمعرفة موقف المالكية راجع كتاب صيانة الإنسان ص (٢٦٤)، وفتح المنان ص (٣٥٨ ـ ٣٥٩) وتيسير العزيز الحميد ص (٣٥٨).

(٥) ولمعرفة موقف المالكية راجع التمهيد (٦/ ٣٨٣، ١/ ١٦٧، ٥/ ٤٥).

(٦) أخرج مسلم وغيره أن النبي ﷺ، قال: **«لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها»**، ولمعرفة موقف المالكية راجع: مقدمة ابن رشد ص (١٧٤)، والتمهيد (١/ ١٦٧، ٥/ ٢٥، ٦/ ٢٨٣)، وتفسير القرطبي (١٠/ ٣٧٩).

(٧) لقول النبي ﷺ: **«لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد...»**.

ولمعرفة موقف المالكية ارجع إلى المعلم (١٢/ ٨٢) وشرح الزرقاني لمختصر خليل (٣/ ٩٣) وتيسير العزيز الحميد (٣٦١) وشرح الزرقاني للموطأ (١/ ٢٢٤، ٢٢٥).

قال القرطبي: «التمسك بسد الذرائع وحمايتها هو مذهب مالك وأصحابه وأحمد بن حنبل في رواية عنه، وقد دلّ على هذا الأصل الكتاب والسنة»[١].

وقال كذلك: «ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ فأعلوا حيطان تربته، وسدوا المداخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره، ﷺ، خافوا أن يتخذ موضع قبره قِبلَة إذا كان مستقبل المصلين فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره»[٢].

وقال الإمام مالك: «أكره تجصيص القبور والبناء عليها وهذه الحجارة التي يبنىٰ عليها»[٣].

وقال ابن أبي شامة: «كان مالك وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار في المدينة ما عدا قباء وأحد»[٤].

وقال ابن عبد الباقي في شرح الموطأ: «روى أشهب عن مالك أنه كره لذلك أن يدفن في المسجد قال: وإذا منع من ذلك فسائر آثاره أحرىٰ بذلك وقد كره مالك طلب موضع شجرة بيعة الرضوان مخالفة لليهود والنصارى»[٥].

وقال القرطبي: «وقال علماؤنا: وهذا يحرم على المسلمين أن

---

(١) تفسير القرطبي (١٢/ ٥٧ ـ ٥٨).

(٢) قرة عيون الموحِّدين ص (١٣٦).

(٣) المدونة (١/ ١٨٩).

(٤) الباعث على إنكار البدع والحوادث ص (٩٦، ٩٧)، وكتاب ابن وضاح رقم (١١٣).

(٥) تيسير العزيز الحميد ص (٣٤٠).

يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد»[١].

وقال ابن رشد: «إن فات ـ يعني صلاة الجنازة ـ لم يصل عليه لئلا يكون ذريعة الصلاة على القبور وهو مذهب أشهب وسحنون»[٢].

وقال ابن رشد كذلك: «كره مالك البناء على القبر وجعل البلاطة المكتوبة»[٣].

قال القرطبي في شرح حديث النبي ﷺ **«لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها»** أي لا تتخذوها قبلة، فتصلوا عليها أو إليها كما فعل اليهود والنصارى، فيؤدِّي إلى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الأصنام، فحذَّر النبي ﷺ عن مثل ذلك، وسدّ الذرائع المؤدِّية إلى ذلك[٤].

إلى أن قال: «وأما تعلية البناء الكثير على نحو ما كان في الجاهلية تفعله تفخيماً وتعظيماً، فذلك يهدم ويزال، فإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة وتشبهاً بمن كان يعظِّم القبور ويعبُدها»[٥].

وقال الإمام مالك: «لا أرى أن يقف عند قبر النبي، ﷺ، يدعو ولكن يسلم ويمضي» ذكره إسماعيل بن إسحاق في المبسوط، وإسناده صحيح كما في صيانة الإنسان[٦].

وقال أيضاً في المبسوط: «لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج أن يقف على قبر النبي، ﷺ، ويدعو له ولأبي بكر وعمر.

---

(١) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٨٠).
(٢) مقدمة ابن رشد ص (١٧٤).
(٣) فتح المجيد ص (٣٢٣)، ولعله يقصد ما يسمى اليوم بشاهد القبر وهو رخام يكتب عليه اسم الميت وتاريخ وفاته وغير ذلك. والله أعلم.
(٤) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٨٠).
(٥) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٨١).
(٦) ص (٢٦٤) فتح المنان ص (٣٥٨).

قيل له: فإن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيّام المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر، فيسلمون ويدعون ساعة، فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده»[1].

وأما الحكاية التي ذكرها القاضي عياض عن محمد بن حميد قال: «ناظر أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله، ﷺ، قال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوماً وقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾[2].

ثم قال: فهذه الحكاية على هذا الوجه إما أن تكون ضعيفة أو محرّفة»[3].

أما الحكاية التي رواها القاضي عياض بإسناده عن مالك في قصته مع المنصور وأنه قال لمالك: «يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ قال: ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة بل استقبله، واستشفع به يشفعه الله فيك»[4].

قال صاحب تيسير العزيز الحميد: «فهذه الرواية ضعيفة أو موضوعة لأن في إسنادها من يتهم محمد بن حميد»[5].

---

(١) فتح المنان ص (٣٥٨).

(٢) سورة الحجرات، الآية: (٢).

(٣) انظر: صيانة الإنسان ص (٢٥٥) وفتح المنان ص (٣٥٩).

(٤) تيسير العزيز الحميد ص (٣٥٨).

(٥) تيسير العزيز الحميد ص (٣٥٨).

* وأما ما روى ابن زبالة وهو في أخبار المدينة عن عمر بن هارون عن سلمة بن وردان وهما ساقطان قال: «رأيت أنس بن مالك يسلم على النبي ﷺ ثم يسند ظهره إلى جدار القبر ثم يدعو»[(١)] فالرجلان ساقطان كما في تيسير العزيز الحميد.

وأما الحكاية في تلاوة مالك هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾[(٢)] فهو والله أعلم باطل، فإن هذه لم يذكرها أحد من الأمة فيما أعلم، ولم يذكر أحد منهم أنه استحبّ أن يسأل بعد الموت لا استغفاراً ولا غيره، وكلامه المنصوص وأمثاله ينافي هذا، قاله صاحب فتح المنان[(٣)].

وقال القرطبي: «وأما السنة فأحاديث كثيرة ثابتة صحيحة منها حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن أم حبيبة وأم سلمة ـ رضي الله عنهن ـ ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك لرسول الله، ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح، فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**» أخرجه[(٤)] البخاري ومسلم.

قال علماؤنا: ففعل ذلك أوائلهم ليتأسوا برؤية تلك الصور، ويتذكروا أحوالهم الصالحة، فيجتهدون كاجتهادهم، ويعبدون الله ـ عز وجل ـ عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم أنهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم ووسوس لهم الشيطان أن آباءكم

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص (٣٥٩).

(٢) سورة النساء، الآية: (٦٤).

(٣) ص (٣٦٠).

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ٢٤٧) ح (١٣٤١) في الجنائز باب بناء المسجد على القبر، ومسلم (١/ ٣٧٥) ح (٥٢٨) في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها.

وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها، فحذر النبي، ﷺ، عن مثل ذلك، وشدد النكير والوعيد على من فعل ذلك»[١].

وقال ابن الحاج في المدخل: «لا يجوز الطواف حول الأضرحة فإنه لا يطاف إلا بالبيت العتيق وكذا لم يشرع التقبيل والاستلام إلا بالبيت العتيق وكذا لم يشرع التقبيل والاستلام إلا للحجر الأسود»[٢].

وقال الطرطوشي: «وروى محمد بن وضاح أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أمر بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي، ﷺ، لأن الناس كانوا يذهبون تحتها فخاف عمر الفتنة عليهم..

قال: وكان مالك وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار التي بالمدينة ما عدا قباء وأحد»[٣].

وقال الطرطوشي: «قال عمر بن الخطاب: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعاً فمن أدركته الصلاة منكم في هذه المساجد فليصل ومن لم تدركه فليمض ولا يتعمدها»[٤].

---

(١) تفسير القرطبي (٢/٥٨).
(٢) المدخل كما في المشاهدات المعصومية ص (٧٣).
(٣) كتاب الحوادث والبدع (٢٩٤ ـ ٢٩٥).
(٤) كتاب الحوادث والبدع (٣٠٨ ـ ٣٠٩).

المبحث الرابع
نماذج من الشرك
التي حذَّر منها علماء المالكية

جاء عن الإمام مالك وبعض أتباعه النهي عن أنواع من الشرك الأكبر والأصغر، ودعاء[١] غير الله والاستغاثة بغير الله[٢]، والنذر لغير الله[٣]،

---

(١) لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة غافر، الآية: (٦٠)] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة الأحقاف، الآية: (٥)] وقول النبي ﷺ: «**إن الدعاء هو العبادة**» وللمزيد من التعرف على أقوال المالكية انظر: «رسالة الشرك» للميلي ص (١٩٢). التحرير والتنوير (٢٤/ ١٨١، ٢٦/ ١١).

(٢) قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم ...﴾ [سورة الأنفال، الآية: (٩)] وقال: ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ ...﴾ [سورة الأحقاف، الآية: (١٧)]. التحرير والتنوير (٩/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥، ٢٦/ ٣٩).

(٣) قال تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ...﴾ [سورة الحج، الآية: (٢٩)] فالنذر عبادة لا تنبغي إلا لله تعالى، التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٨)، وانظر تيسير العزيز الحميد ص (٢٠٧)، رسالة الشرك للميلي ص (٢٦٨)، ولا يجوز النذر لولي أو نبي أو غيرهما، وإلا فإن هذا شرك لأنه صرف للعبادة لغير الله تعالى، لا كما يفعله كثير من الجهال بالنذر لقبر البدوي أو الحسين أو الجيلاني أو غيرهم، فإن هذا شرك بالله تعالى ولا يسوغ أي تأويل لذلك الفعل أو محاولة التلاعب باللفظ والقول بأن «النذر لله والثواب للولي» فهذا كلام باطل لا يستجيزه عقل صريح.

والذبح لغير الله(١)، واعتقاد أن الأولياء لهم تصرف في الكون مع الله(٢)، أو اعتقاد أن أحداً يعلم الغيب(٣)، أو الحلف بغير الله(٤) أو اعتقاد أن للكواكب تأثيراً في إنزال المطر(٥) والتوكُّل على غير الله(٦).

قال ابن العربي: «مقامات الغيب الخمسة التي لا يعلمها إلا الله

---

(١) لقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [سورة الكوثر، الآية: (٢)] وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۝١٦٢﴾ [سورة الأنعام، الآية: (١٦٢)]، فالذبح عبادة لا تنبغي إلا لله وعلى اسم الله، ولا يجوز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه.

وانظر: مختصر خليل (٣/ ١٣٠) وتفسير القرطبي (٢/ ٢٢٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٧٤).

(٢) وهذا شرك في الربوبية وقد نفى الله تعالى كل أنواع التصرف لغيره بقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سورة سبأ، الآيتان: (٢٢، ٢٣)]. وقد سبق الكلام على هذه الآية بالتفصيل في المبحث الثاني. وانظر: شرح الموطأ للزرقاني (١/ ٣٤٧) وشرح الموطأ للباجي (١/ ٣٣٤). والتحرير والتنوير (٢٢/ ١٨٥ ـ ١٩١).

(٣) لقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦﴾ [سورة الجن، الآية: (٢٦)] وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة النمل، الآية: (٦٥)].

وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٧٣٨، ٧٣٩) وتفسير القرطبي (١/ ٢٩٠) ورسالة الشرك للميلي ص (١٣٧).

(٤) لقوله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك» وفي لفظ: «فقد كفر» وانظر التمهيد (١٤/ ٣٦٦، ٣٦٧) وتفسير القرطبي (١٠/ ٤٠) وشرح الصغير للدرديري (٢/ ٢٠٣) وتفسير القرطبي (١٠/ ٤٠) و ((٦/ ٢٧٠، ٢٧١) والمقدمات لابن رشد (٣٠٨، ٣٠٩) وشرح رزق على متن الرسالة (٢/ ١٥) والمعلم (٢/ ٢٤٠). شرح الزرقاني على مختصر خليل (٣/ ٥٣) كتاب الكافي في فقه أهل المدينة المالكي (١/ ٤٤٨).

(٥) المنتقىٰ شرح موطأ مالك (١/ ٣٣٤)، وشرح الزرقاني لموطأ مالك.

(٦) لقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال، الآية: (٢)] انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ٢٥٩).

لا أمارة عليها ولا علامة عليها إلا ما أخبر به الصادق المجتبى لاطلاع الغيب من أمارات الساعة، والأربع سواها لا أمارة عليها، فكل من قال: إنه ينزل الغيث غداً فهو كافر، أخبر عنه بأمارات ادَّعاها أو بقول مطلق، ومن قال: إنه يعلمُ ما في الرحم، فهو كافر...

وأما من ادَّعى علم الكسب في مستقبل العمر فهو كافر، أو أخبر عن الكوائن الجميلة أو المفصلة فيما يكون قبل أن يكون، فلا ريبة في كفره أيضاً. فأما من أخبر عن كسوف الشمس والقمر فقد قال علماؤنا: يؤدَّب ويسجن، ولا يكفر. أما عدم تكفيره فلأن جماعة قالوا: إنَّه أمر يدرك بالحساب وتقدير المنازل، حسب ما أخبر الله سبحانه في قوله جلَّ وعلا: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾[1] لحسابهم له، وإخبارهم عنه وصدقهم فيه توقف علماؤنا عن الحكم بتكفيرهم، وأما أدبُهم فلأنهم يدخلون الشك على العامة في تعليق العلم بالغيب المستأنف ولا يدرون قدر الفرق بين هذا وغيره، فتتشوش عقائدهم في الدين وتتزلزل قواعدهم في اليقين، فأدبوا حتى يُسِرُّوا ذلك إذا عرفوه ولا يعلنوا»[2].

وقال ابن عبد البر: «لا يجوز الحلف بغير الله ـ عز وجل ـ في شيء من الأشياء، ولا على حال من الأحوال، وهذا أمر مجمَع عليه وقد روى سعيد بن عبيدة عن ابن عمر فيه حديثاً شديداً أنه سمع رسول الله، ﷺ، يقول: «**من حلفَ بغير الله فقد أشرك**» ذكره أبو داود[3] وغيره.

---

(١) سورة يس، الآية: (٣٩).

(٢) أحكام القرآن (٢/ ٧٣٨ ـ ٧٣٩).

(٣) أحمد (٢/ ٣٤ ـ ١٢٥)، والترمذي (٤/ ١١٠) ح (١٥٣٥) في النذور والأيمان، وأبو داود (٣/ ٥٧٠)، ح (٣٢٥١) في الأيمان باب في كراهية الحلف بالآباء، وابن حبان (٦/ ٢٧٨) ح (٤٣٤٣) والحاكم (٤/ ٢٩٧)، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وقال الترمذي حديث حسن جميعهم من=

وروى محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحلفوا بآبائكم، ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون**»[١]...»[٢].

وقال ابن رشد: «والمحظور أن يحلف باللات، والعزى، والطواغيت، أو بشيء مما يعبد من دون الله تعالى لأن الحلف بالشيء تعظيم له، والتعظيم لهذه الأشياء كفر بالله تعالى»[٣].

وقال القرطبي في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾[٤] أي ذكر عليه غير اسم الله تعالى، وهي ذبيحة المجوسي والوثني والمعطل فالوثني يذبح للوثن، والمجوسي للنار، والمعطل لا يعتقد شيئاً فيذبح لنفسه، ولا خلاف بين العلماء أن ما ذبح المجوسي لناره، والوثني لوثنه لا يؤكل... ومنه إهلال الصبي واستهلاله وصياحه عند ولادته، وقال ابن عباس وغيره: المراد ما ذبح للأنصاب والأوثان... وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحة، وغلب ذلك في استعمالهم حتى عبر عن النية التي هي علة التحريم ألا ترىٰ أن عليَّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ راعىٰ النية في الإبل التي نحرها غالب أبو الفرزدق فقال: إنها مما أهلَّ لغير الله به فتركها الناس، قال ابن عطية: ورأيت في أخبار الحسن بن أبي الحسن أنه سئل عن امرأة صنعت للُعبها عرساً فنحرت جَزُوراً، فقال الحسن: لا يحل أكلها فإنها إنما نُحرت لصنم»[٥].

= طريق سعد بن عبيدة عن ابن عمر مرفوعاً وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/١١٦٧) ح (٦٢٠٤).

(١) أخرجه أبو داود (٣٤/٥٦٩) ح (٣٢٤٨) في الأيمان باب في كراهية الحلف بالآباء من رواية محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) التمهيد لابن عبد البر (١٤/٣٦٦ ـ ٣٦٧).

(٣) مقدمات ابن رشد ص (٣٠٩).

(٤) سورة البقرة، الآية: (١٧٣).

(٥) تفسير القرطبي (٢/٢٢٣ ـ ٢٢٤).

جاء في المدونة كما في شرح الزرقاني لمختصر خليل: «سوق الهدايا لغير مكة ضلال»[١].

وقال الميلي: «دعاء غير الله... فهو شرك صريح وكفر قبيح، وله نوعان: أحدهما غير الله مع الله، كالذي يقول: يا ربي، ويا شيخي، يا ربي وجدي، يالله وناسه، يالله وسيدي عبد القادر، وسمعت كثيراً يحكون أنهم كثيراً ما يسمعون فلاناً يقول: يا ربي يا سيدي يوسف اغفر لي، ويوسف هذا من أولاد ابن الدرويش إحدى فصائل أولاد العباد... وإطلاق الشرك على هذا النوع واضح لأن الداعي عطف غير الله على الله بالواو ثابتة أو محذوفة، وهي تقضي مشاركة ما بعدها في الحكم، والحكم المشترك فيه هنا هو عبادة الدعاء.

النوع الثاني: دعاء غير الله من دون الله كالذي يقول: يا رجال الدالة، يا دوان الصالحين، وإطلاق الشرك على هذا النوع باعتبار أن الداعي وإن اقتصر على المخلوق في اللفظ لم ينكر الله ولم يبرأ منه في العقد فكأن الله في كلامه مضمر»[٢].

وقال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي: «قد نُهي عن النذر، وندب إلى الدعاء، ويظهر به التوجه إلى الله ـ تعالى ـ والتضرُّع له، وهذا بخلاف النذر، فإن فيه تأخير العبادة إلى حين الحصول، وترك العمل إلى حين الضرورة»[٣].

قال ابن عبد البر: «يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء والصالحين مساجد»[٤].

---

(١) شرح مختصر خليل للزرقاني (٣/ ١٣٠).
(٢) رسالة الشرك ص (١٩٢).
(٣) تيسير العزيز الحميد ص (٢٠٧).
(٤) التمهيد (١/ ١٦٨).

وقال ابن عبد البر: «الوثن: الصنم، وهو الصورة من ذهب كان، أو من فضة. أو غير ذلك من التمثال، وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن صنماً كان أو غير صنم، وكانت العرب تصلي إلى الأصنام وتعبدها فخشي رسول الله، ﷺ، على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضىٰ من الأمم: كانوا إذا مات لهم نبي عكفوا حول قبره كما يصنع بالصنم فقال ﷺ: **«اللهم لا تجعل قبري وثناً»** يصلىٰ إليه، ويسجد نحوه، ويعبد، فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك، وكان رسول الله، ﷺ، يحذر أصحابه، وسائر أمته الذين صلّوا إلى قبور أنبيائهم واتخذوها قبلة ومسجداً كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها، وذلك الشرك الأكبر فكان النبي، ﷺ، يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه وأنه مما لا يرضاه خشية عليهم امتثال طرقهم[1].

وقال الميلي: (مساواة هذه الأمة لمن قبلها في حكم السنن الإلٰهية:

إنَّ ما وقع فيه العرب ومن قبلهم يقع فيه غيرهم بعدهم إذا ما جهلوا مثلهم أصول الدِّين، وبالغوا في التبرُّك بالصالحين، فإن الله يقول: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾. وعلماء الاجتماع يقولون: «التاريخ يعيد نفسه»، والمتكلمون يحكمون بأن «ما جرىٰ على المثل يجري على المماثل» فإذا كان مجموع المسلمين قد انتهوا في الدِّين إلى جهالة المشركين، فمحاولة تبرئتهم من الشرك غش وتضليل وجحد للشريعة وتعطيل.

صور من الوثنية الحاضرة:

ألست ترى في أوساطهم قباباً تبذل في شيدها الأموال، وتشد لزيارتها الرحال، أم لست تسمع منهم استغاثات وطلب حاجات من

---

(١) التمهيد (٥/ ٤٥).

الغائبين والأموات؟ أم لم تعلم بدور تنعت بدار الضمان تشتري ضمانتها بالأثمان؟ أم لم تجتمع بذرية نسب للمرابطين إعطاؤها بقوة غيبية. أم لم تتكرر عليك مناظر مكلفين إباحيين يقدِّسون بصفتهم مرابطين أو طريقيين هذا إلى اجتماعات تنتهك فيها كل الحرمات باسم الزردات، أو تحت ستار الاعتقادات والدعوة إلى أوضاع مبتدعة صدَّت الناس عن اتباع السنة المطهرة. والخبير بحياة أهل عصره العالم بأصول دينه لا يتردد في ظهور الشرك وانتشاره، وتعدد مظاهره وآثاره»[١].

وقال: «وإذا قيل للناس أن هؤلاء الضرائح والمزارات من الأوثان، قالوا إنكم تسبون الصالحين! يا إخواننا افهموا لغة العرب والذين تجدوا أن ذلك ليس من الطعن على الأولياء، فإن كل ما نصب ليعبد من دون الله فهو وثن أو صنم، وكل من عبده فهو هالك. وليس كل معبود من دون الله هالكاً. قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ فتلك المزارات والضرائح من الأوثان وإن كانت منسوبة إلى ولي صالح.

تعيين مكان في النذر:

وتلك الاجتماعات عليها للزردات هي من أعياد الجاهلية، فلو فرضنا أحداً نذر لها شيئاً فهو عاص بالوفاء به. فإن أضاف إليه التقرُّب من صاحبها فهو مشرك.

وقد أصبح الناس في جاهليتهم الحاضرة ينذرون لمن يعتقدون فيه من الأحياء والأموات والمزارات، الأموال والثياب والحيوانات والشموع والبخور والأطعمة وسائر المتمولات، ويعتقدون أن نذرهم سبب يقربهم من رضىٰ المنذور له وأن لذلك المنذور له دخلاً في

---

(١) رسالة الشرك للميلي (١٠٨).

حصول غرضهم، فإن حصل مطلوبهم ازدادوا تعلقاً بمن نذروا له واشتدت خشيتهم منه، وبذلوا أقصىٰ طاقتهم في الاحتفال بالوفاء له، ولم يستسيغوا لأنفسهم التقصير أو التأخير كما استساغته جاهلية العرب في تعويض الغنم بالظباء. فالعرب مع أصنامهم أقل هيبة من هؤلاء مع أوليائهم، وإن تساوى الفريقان في حق من ألهوه أكثر من اعتبار حق الإلٰه الحق، ذلك أن جاهليتنا على شدة اهتمامها بحق أوليائها منها من لا يبالي مع ذلك بالصلاة أو بالزكاة أو بهما معاً، ومن صلّى وزكّىٰ لا ينكر على تاركهما ما ينكره على من تراخىٰ في زيارة شيخ طريقة، أو إقامة زردة أو أداء وعدة، وكذلك ما حكاه القرآن عن العرب في آياته: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾[1]...»[2].

وقال: «إن الرزية كل الرزية، والبلية كل البلية، أمر غير ما ذكرنا من التوسل المجرد، والتشفع بمن له الشفاعة. وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء من أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله، جلَّ جلاله، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله ـ عز وجل ـ حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم، فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالاً، ويصرخون بأسمائهم، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع، ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء»[3].

وقال: «وقد يعبرون عن هذا الضرب من التبرك بالاستمداد من أرواح الصالحين، ويعتقدون أنهم أحياء في قبورهم، يتصرفون في العالم، ويقضون حاجات قاصديهم، ويستدل مستدلهم بما ورد في حياة الأرواح مما قدّمنا أصحه وأصرحه. فيتخذون المزارات يبنون

---

(١) سورة الأنعام، الآية: (١٠٠).
(٢) رسالة الشرك للميلي ص (٢٦٨).
(٣) رسالة الشرك للميلي ص (٢٦٨).

عليها البناءات ويرون أن روح الصالح فلان هنالك، إما لأنه دفن هنالك أو جلس به، بل تجد بناءات كثيرة على مزارات عديدة كلها منسوبة للشيخ عبد القادر الجيلاني دفين بغداد ـ رحمه الله ـ، وهو لم يعرف تلك الأمكنة ولا سمع بها. وهذه المزارات الجيلانية تجدها غربي وطن الجزائر أكثر منها في شرقه. أما أن يكون للصالح الواحد قبران فهذا نعرفه لغير الصالح. وأشهرهم بوطننا الشيخ محمد بن عبد الرحمن مؤسس الطريقة الرحمانية بمغربنا. ومن مظاهر هذا التبرك الاستمدادي تقبيل الجدران والمسح بالحيطان وكل ما يضاف إلى ذلك المكان»[١].

وقال: «نهىٰ الرسول، ﷺ، عن الحلف بالمخلوق فأبىٰ أكثر الناس إلا الحلف به. وأغلظ في النهي حتى بلغ به نهي الشرك والكفر فأجروا هذه اليمين على ألسنتهم أكثر من اليمين بالله. وأمر من حلف بالله أن يصدق. فتلاعبوا باليمين الشرعية واحترموا اليمين الشركية»[٢].

وقال ابن عاشور عن خطورة الشرك: «أكبر الاعتداء إذ هو اعتداء على المستحق المطلق العظيم، لأن من حقه أن يفرد بالعبادة اعتقاداً وعملاً وقولاً، لأن ذلك حقه على مخلوقاته، ففي الحديث: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**»[٣]، إلى أن قال: وذلك أن الشرك جمع بين الاعتراف لله بالإلٰهية والاعتراف لغيره بالربوبية أيضاً ولما كان الاعتراف لغيره ظلماً كان إيمانهم بالله مخلوطاً بظلم»[٤].

---

(١) رسالة الشرك للميلي ص (٢٤٤).

(٢) رسالة الشرك للميلي ص (٢٧٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله (١٣/٣٤٧)، ح (٧٣٧٣) من حديث معاذ بن جبل.

(٤) التحرير والتنوير (٧/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣).

الخاتمـــة

الحمد لله الذي يسر وأعان على إتمام هذا الكتاب، فله وحده المنة والفضل، وقد توصّلت إلى نتائج أجملها فيما يلي:

أولاً: أن كلام المتقدمين كمالك وأصحابه الأوائل عن الشرك وأنواعه ووسائله قليل، لأن بدع القبورية لم تكن قد انتشرت بعد، وإنما كانوا يتكلّمون في بعض هذه المسائل عرضاً إذا وردت في النصوص بخلاف ما عليه المتأخرون من المالكية فقد بسطوا القول في تلك المسائل كما هو ظاهر من النماذج المتقدمة من نصوصهم.

ثانياً: أن للعلماء جهوداً مشكورة لحماية جناب التوحيد، ومحاربة البدع القبورية، وسد ذرائع الشرك ومنافذه.

ثالثاً: أن البدع القبورية قد أفسدت عقائد كثير من الناس وأوقعتهم في الشرك الأكبر.

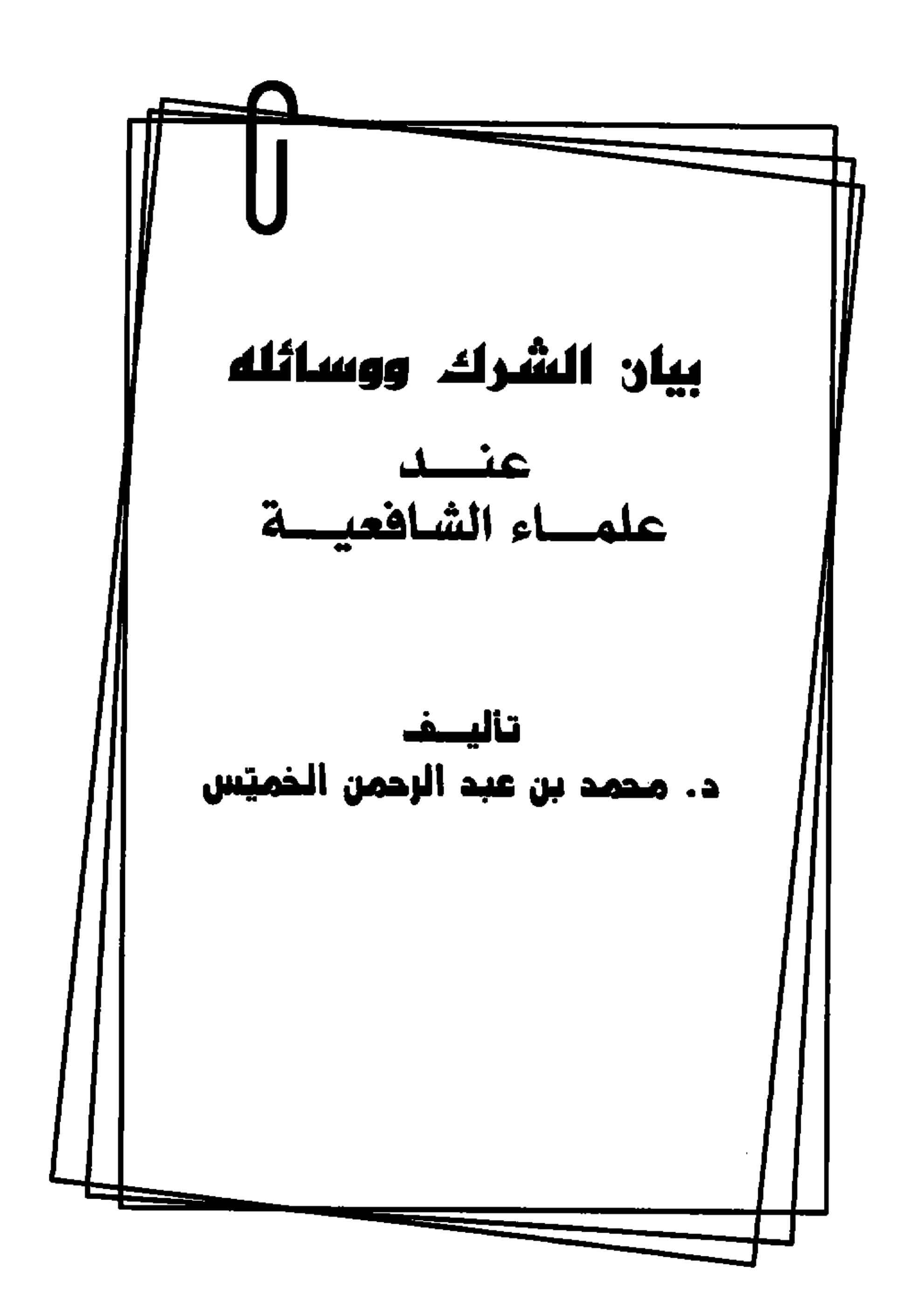
رابعاً: أن الشارع احتاط فسد كل وسيلة تؤدّي إلى الشرك، فحرّم كل ما يحدث عند القبور مما من شأنه أن يفسد عقائد الناس.

خامساً: أن الشرك إذلال وإهانة للإنسان، لأنه تعبيد الإنسان لمخلوق ضعيف مثله، كما أنه يفتح باباً واسعاً للأساطير والخرافات.

وفي الختام فهذا جهد المقل، وقوى الإنسان محدودة قاصرة، ورجائي من القارىء الكريم التماس العذر في كل نقص وهفوة،

وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقنا جميعاً لهدي كتابه والسير على سنة رسوله ﷺ.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



بيان الشرك ووسائله

عنـــد
علمـــاء الشافعيـــة

تأليـــف

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

المقدمـــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾.

أما بعـد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فإن للتوحيد آثاراً رائعة واضحة في حياة الإنسان والمجتمع، وثماراً يانعة لها أجمل التأثير وأعظمه فمنها:

١ ـ إخراج الإنسان من عبودية غير الله:

لأن التوحيد هو تعبيد الإنسان لخالقه ـ سبحانه وتعالى ـ وحده، والشرك تعبيد الإنسان لمخلوق مثله لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعاً ولا يملك موتاً ولاحياة ولا نشوراً. التوحيد تحرير لعقل الإنسان من الخرافات، وتحرير لضميره ونفسه من الذل والخنوع، وتحرير لحياته كلها من تسلط الطغاة والمتألهين، وهذا ما علمه المشركون من معنىٰ (لا إله إلا الله) فناصبوا الرسل العداء وحاربوهم.

٢ ـ ضبط السلوك والعمل على اتزانه:

لأن المسلم يتحرك في كل أفعاله ولحظات حياته لاكتساب مرضاة الله تعالى، وذلك في كل أحواله، فنفسه غير مشتتة بين آلهة متعددة يحاول إرضاءها كلها، قال ـ تعالى ـ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾[(١)]، فالأول هو الذي يعبد آلهة متعددة يتحير في اكتساب رضاها كلها، والثاني لا يعبد إلا إلٰهاً واحداً.

٣ ـ إيجاد النفس الآمنة القوية:

قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[(٢)] فالمؤمن دائماً يتوكَّل على الله تعالى ويلتجىء إليه

(١) سورة الزمر، الآية: (٢٩).

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: (٨١، ٨٢).

ويعلم أنه مالك الملك، فيفيض ذلك في نفسه أمناً وثقة بالله وتوكلاً عليه وطمأنينة إليه، وكيف لا وهو يرى أن البشر لا يملكون شيئاً إنما الله تعالى هو مالك الملك وحده، وانظر إلى قول نوح عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[1]. وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾[2].

فهذه النفوس وصلت لذلك القدر من الثقة والاطمئنان والأمن بسبب إدراكها لقدرة الله تعالى وعظمته، وحقارة شأن المخلوقين وكونهم ليس لهم من الأمر شيء.

٤ ـ إرساء مبدأ المؤاخاة والمساواة:

فالإسلام دين التوحيد، جعل الناس جميعاً خاضعين لربهم ـ عز وجل ـ، لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ولا يستعبد بعضهم بعضاً، إنما كل الناس متساوون في الإنسانية والبشرية، وكل الموحدين متساوون في الحقوق والواجبات، لا فضل لبعضهم على بعض إلا بالتقوى والعمل الصالح، فلا تمايز باللون، ولا بالجنس، ولا بالمهنة ولا بغير ذلك: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[3].

---

(١) سورة يونس، الآية: (٧١).
(٢) سورة هود، الآيتان: (٥٥، ٥٦).
(٣) سورة الحجرات، الآية: (١٣).

أضرار الشرك ومفاسده

وبمقابل آثار وثمرات التوحيد هذه نجد مفاسد وأضراراً للشرك تضادها كما على النحو التالي:

١ ـ إهانة الإنسان:

وذلك بعبادته لغير الله ـ تعالى ـ، مخلوقاً مثله لا ينفع ولا يضر، يتخذه معبوداً مطاعاً، وهو مخلوق مثله ليس له من الأمر شيء، بل أحياناً يعبد أشياء أحط منه: كالبقرة، والشجر، والحجر، وغير ذلك، فهل يليق بالإنسان العاقل المكرم أن يكون كذلك، وهل هناك إهانة أشد من ذلك!

٢ ـ تسويغ الخرافات:

وذلك بأن يعتقد الإنسان النفع والضر لغيره من المخلوقات، وينسج حولها الخرافات والأساطير والخزعبلات، بما لا يتفق مع عقل الإنسان ولا يسوغ أن يقبله وجدانه.

٣ ـ الشرك أظلم الظلم:

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1]. وقال

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٥٤).

ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1]. وأي ظلم أعظم من أن يخلقك الله ثم تعبد غيره؟ أو أن يرزقك ثم تشكر غيره؟

وهو ظلم للنفس كذلك لأنه حرمان لها مما فيه سرورها ونعيمها وحياتها من التوحيد. وتحميل لها من العذاب ما لا طاقة لها به: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2].

٤ ـ الشرك مبعث المخاوف:

لأن المشرك لا ثقة له بالله تعالى ولا توكُّل له عليه، فهو متقلِّب بين الأوهام والخرافات، والخزعبلات، يخاف من كل شيء، يخاف على حياته، على رزقه، على كل شيء ويخاف من كل شيء، فبؤساً لها من حياة!

٥ ـ إشاعة السلبية في الحياة الإنسانية:

فالشرك يجعل من صاحبه معتمداً على غيره من الشفعاء والوسطاء، كما يعتقد النصارى في المسيح عليه السلام، ولا يعتمد على نفسه بعد الله تعالى، فيعطل كثيراً من إمكانياته وملكاته.

٦ ـ دخول النار:

فالشرك أعظم الأسباب الموجبة لدخول النار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[3].

والتوحيد من أعظم أسباب دخول الجنة، إذاً المشرك ليس له مصير إلا النار، لأن ذنبه هذا لا ترجى له المغفرة أبداً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا

(١) سورة لقمان، الآية: (١٣).
(٢) سورة آل عمران، الآية: (١١٧).
(٣) سورة المائدة، الآية: (٧٢).

يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾[١].

فهذه بعض مفاسد الشرك وآثاره السيئة على النفس الإنسانية في دنياها وأخراها، ومما هو معلوم أن الشرك هو أكثر الأشياء التي حذَّر منها القرآن، وأقام البراهين والآيات على بطلانها، وبيَّن القرآن لعن فاعلها والحكم له بالنار على وجه القطع، وذكر القرآن من مفاسد الشرك وآثاره على الإنسان الشيء الكثير، وحذَّر منه بما لا مزيد عليه.

ولهذا فقد أردت أن أبين طرفاً من جهود علماء الشافعية في بيان الشرك ووسائله وصوره وذرائعه وغير ذلك حسبما وقفت عليه من مصادرهم.

والشافعية: هم المنتسبون في الفروع إلى الإمام البحر الجبل رأس الطبقة التاسعة والمجدد لأمر الدين على رأس المائتين[٢] وهو أحد الأئمة الأربعة المتبوعين في مسائل الفروع، ولد سنة ١٥٠هـ وتوفي ٢٠٤هـ وقد انتشر مذهبه في العراق والشام ومصر والحجاز واليمن وغير ذلك، وما زال المذهب الرسمي في بعض البلاد الإسلامية إلى اليوم، فرحمه الله وأجزل له المثوبة.

هذا وقد قسَّمت الموضوع إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: في تعريف الشرك عند بعض علماء الشافعية.

المبحث الثاني: في بيان أنواع الشرك عند بعض علماء الشافعية.

المبحث الثالث: في بيان وسائل الشرك التي حذر منها علماء الشافعية لحماية جناب التوحيد.

المبحث الرابع: في بيان نماذج من الشرك حذر منها علماء الشافعية.

---

(١) سورة النساء، الآية: (٤٨).

(٢) انظر تقريب التهذيب (٢/١٤٣/٣١).

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب جميع المسلمين، وأن يجعله في ميزاننا يوم القيامة، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول
تعريف الشرك عند بعض علماء الشافعية

قال الأزهري الشافعي: «قال الله ـ عز وجل ـ مخبراً عن عبده لقمان الحكيم أن قال لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1].

والشرك أن تجعل لله شريكاً في ربوبيته تعالى الله عن الشركاء والأنداد، وإنما دخلت الباء في قوله: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾، لأن معناه لا تعدل به غيره، فتجعله شريكاً له، وكذلك قوله: ﴿بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾[2]. لأن معناه عدل به ومن عدل بالله شيئا من خلقه فهو مشرك لأن الله واحد لا شريك له ولا ند ولا نديد»[3].

وقال الراغب الأصبهاني: «الشرك العظيم هو إثبات شريك لله تعالى يقال أشرك فلان بالله وذلك أعظم كفر»[4].

وقال المناوي: «الشرك: إسناد الأمر المختص بواحد إلى من

---

(١) سورة لقمان، الآية: (١٣).
(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٥١).
(٣) تهذيب اللغة (١٠/١٦).
(٤) الموطأ ص ٤٥٢.

ليس معه أمره»[١].

وقال العلامة علي السويدي الشافعي في بيان الشرك والتحذير من خطره: «اعلم أعاذني الله وإيَّاك من الشرك والكفر والضلال، وأمدنا بالتوفيق لما يحبه ويرضاه من الأقوال والأفعال، أن الشرك يضاد التوحيد، فهما لا يجتمعان، كما أن الكفر يضاد الإيمان، وأنهما ضدان، فإذا قيل: هذا موحد، فمعناه أنه يعتقد الوحدانية لله وغير مثبتٍ له شريكاً، ولا يكون موحداً التوحيد المطلوب حتى يتخلَّى عن كل ما فيه شرك للمعبود، وضده المشرك الذي يحصل منه الشرك ولو ببعض أنواعه: بأقواله، أو أحواله، أو أفعاله، أو اعتقاده، أو معاملاته، أو بوفاقه وتحسينه، أو برضاه لقوله أو سماعه... ولما كانت الجاهلية قد أشركوا في عبادتهم ما استحسنوه بفساد عقولهم مقلدين لذلك الضلال المبين من أصولهم فعكفوا على عبادة أصنام، وأوثان، وأشجار، وتماثيل، وقبور، ونُصب، وصخور متبركين بها، راجين شفاعتها عند خالقها، ملتجئين إليها مستمسكين بما زعموه من أنهم محسبون عليها. وقد تشعبت من شجرة هذا الشرك الخبيث فنون ضلالات، وابتدعت من هذا الأصل الباطل فروع جهالات من التطير، والحلف بما تألهوه، وتعليق الرقىٰ والتولة والتمائم لجلب ودفع ما أرادوه فشركوا بين الخالق والمخلوق بالحب والرجاء والخوف والالتجاء والمنع والعطاء والتقريب والإقصاء ثم لم تزل تعم تلك الجهالة وتشتعل بينهم نيران الضلالة حتى اتخذوا لهم من الأديان ما لم يأذن به الله فسيبوا السوائب، وحموا الحام، ووصلوا الوصائل، ولم يزالوا في جهالة جهلاء، ومخالفة عمياء حتى أرسل الله نبيه المصطفىٰ، ﷺ، مبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً... فصدع، ﷺ، بالتفريد والتجريد اللذين هما حقيقة التوحيد وحتَّم عليهم توحيده سبحانه عن هذا الشرك، الذي بيَّنه في كتابه المُنزَّل بضرب

---

(١) التوقف للمناوي ص ٤٢٨.

الأمثال وإقامة البراهين على الوجه البارع المفصَّل، فلذلك ترى القرآن والحديث مشحونين بذكر الشرك والمشركين أكثر من ذكر الكفر والكافرين وكان التعرض للشرك في ذلك الزمان وبعده في زمن الصحابة والتابعين هو المعروف المشهور وقد بلغ الغاية في الاشتهار والظهور ثم لما اندرست قواعد الشرك باندراس أهله، وظهرت شعائر الدين القويم بظهور فروعه من أصله، لم تكد ترى أحداً يتعرَّض للشرك وأحواله، ولا يلوث لسانه بذلك القذر في جميع أقواله، فلذلك ترىٰ العلماء قد أطنبوا في أبواب الردة ـ والعياذ بالله ـ من ذكر المكفرات، وأعرضوا عن المشرّكات»[1].

وبعد هذا البيان نلحظ أن الشرك في الألوهية لم يذكر، مع أن توحيد الألوهية هو أصل دين الإسلام، وهو الذي وقعت لأجله الخصومة بين الرسل وأقوامهم، وهو الذي بعثت به جميع الرسل كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[2].

(١) العقد الثمين ص ١٨ ـ ١٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: (٢٥).

المبحث الثاني
بيان أنواع الشرك عند بعض علماء الشافعية

قال الراغب الأصبهاني: «وشرك الإنسان في الدين ضربان أحدهما: الشرك العظيم وهو إثبات شريك لله تعالى وذلك أعظم كفر... والثاني: الشرك الخفي والنفاق»(١).

قال العلامة علي السويدي الشافعي: اعلم أن الشرك إما أن يكون في الربوبية وإما في الألوهية، والثاني إما أن يكون في الاعتقاد وإما في المعاملة الخاصة برب العباد، وهذا الثاني الذي يتفرع منه شرك العبادة منقسم إلى أقوال وأفعال، وفي كل منهما يكون الشرك الأكبر غير المغفور، والأصغر المغفور، وكلامنا الآن في الشرك الأكبر الذي أوجب الله سبحانه علينا التحرز منه، ولا يكمل توحيد العبد إلا بعد معرفته الشرك بأنواعه وأسبابه، كما قال الشاعر:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ... ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

ولأجل الحذر من هذا الخطر كان، ﷺ، يستعيذ منه مع أنه أعلم الناس بالله، وأشدّهم خشية من الله، كما ورد عنه، ﷺ، في قوله: «**اللهم إنّي أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأعوذ بك**

(١) المصدر نفسه (ص١٢٣).

أن أشرك بك شيئاً وأنا لا أعلم» إلى غير ذلك من دعائه، وخاصة نداائه، وقد استعاذ منه أيضاً خليل الله إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ وكان أبناؤه أنبياء مرسلين، وإذا كان هذا خاتم النبيين وهذا خليل رب العالمين قد استعاذا منه، وطلبا التحرُّز بالله عنه، وخشيا وقوعهما فيه، وهما أفضل الرسل، فكيف بغيرهما كائناً من كان... فالشرك في الربوبية لم يقل به أحد من الكفّار، ولا قال أحد بوجود خالقين واجبي الوجود، وإن حصل من بعض الكفّار التعطيل في الربوبية كتعطيل فرعون وأضرابه، وأما الشرك في الألوهية فهو أنواع بحسب تألُّه المتألهين، ولم يقل أحد أن للعالمين إلٰهين متماثلين متكافئين إلا الثنوية، وأما الوثنية العابدون ما سوى الله فإنهم لا يقولون بالتعدد وإن أطلقوا عليها اسم الآلهة»[١].

وقال في موضع آخر: «وجماع الأمر أن الشرك نوعان: شرك في الربوبية بأن يجعل لغيره معه تدبيراً وشرك في الألوهية بأن يدعو غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة»[٢][٣].

وقال أحمد بن حجر آل بوطامي الشافعي مقراً كلام شيخ الإسلام ابن تيمية: «الشرك نوعان: أكبر وأصغر، فمن خلص منهما وجبت له الجنة، ومن مات على الأكبر وجبت له النار، ومن خلص من الأكبر وحصل له بعض الأصغر مع حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة، ومن خلص من الأكبر ولكن كثر الأصغر حتى رجحت به سيئاته دخل

---

(١) المفردات ص ٤٥٢.

(٢) العقد الثمين في بيان مسائل الدين ص (١١٩، ١٢٠).

(٣) من الأدلة على أن دعاء غير الله شرك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة غافر، الآية: (٦٠)]. وقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [سورة مريم، الآيتان: (٤٨، ٤٩)]. فالدعاء عبادة وصرفه لغير الله إشراك بالله تعالى غيره.

النار، فالشرك يؤاخذ به العبد إذا كان أكبر أو كان كثيراً أصغر، والأصغر القليل في جانب الإخلاص الكثير لا يؤاخذ به... فالشرك الأكبر: كالسجود[١] والنذر لغير الله[٢]، والأصغر: كالرياء[٣] والحلف بغير الله[٤] إذا لم يقصد تعظيم المخلوق كتعظيم الله»[٥].

---

(١) ودليل على أن السجود لغير الله تعالى شرك، قال الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الحجر، الآية: (٩٨، ٩٩)].
وقول النبي ﷺ: **«لو كنت آمراً أحداً بالسجود لأحد غير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»**.

(٢) ودليل النذر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الحج، الآية: (٢٩)]. وقوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [سورة الإنسان، الآية: (٧)].

(٣) ودليل الرياء قوله تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء، الآية: (١٤٢)].

(٤) ودليل الحلف قوله ﷺ: **«من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك»**.

(٥) تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران ص (٣٨، ٣٩).

المبحث الثالث
وسائل الشرك التي حذر منها علماء الشافعية حماية لجناب التوحيد

جاء عن الإمام الشافعي وأتباعه النهي عن ما هو من وسائل الشرك كتجصيص القبور[١] وتعليتها[٢]، والبناء عليها[٣] والكتابة عليها[٤]، وإسراجها[٥]، واتخاذها مساجد[٦]، والصلاة

(١) لما أخرجه مسلم وغيره قال: «**نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناء**». ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وكثير من أتباعه في هذه القضايا راجع المهذب (١/ ٤٥٦) وروضة الطالبين (١/ ٦٥٢) والمجموع (٥/ ٢٦٦). والسراج الوهاج (١/ ١١٤)، وشرح مسلم للنووي (٧/ ٣٧، ٣٨) والعقد الثمين ص (١٨٦).

(٢) ولمعرفة موقف الشافعية انظر: روضة الطالبين (١/ ٦٥٢) والزواجر (١/ ١٩٥).

(٣) لمعرفة موقف الشافعي رحمه الله تعالى وأتباعه انظر المهذب (١/ ٤٥٦)، روضة الطالبين (١/ ٦٥٢)، والمجموع (٥/ ٢٦٦) والسراج الوهاج (١/ ١١٤)، وشرح مسلم للنووي (٧/ ٣٠٧).

(٤) لما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبي ﷺ: «**نهىٰ أن تجصص القبور وأن يكتب عليها**» ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وأتباعه انظر: الأم (١/ ٢٧٨) روضة الطالبين (١/ ٦٥٢)، المهذب (١/ ٤٥١)، والمجموع (٥/ ٢٦٦)، والسراج الوهاج (١/ ١١٤) والعقد الثمين ص (١٨٦).

(٥) لقول النبي ﷺ: «**لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**». ولمعرفة موقف الشافعية انظر الزواجر (١/ ١٩٤) فتح المجيد ص (١٨٦).

(٦) قال النبي ﷺ: «**لعنة الله على اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم**=

إليها[١]، واستقبالها للدعاء[٢] والطواف بها[٣] والقعود عليها[٤]، وتقبيلها ومسحها باليد[٥]، وأن يضرب عليها مظلة[٦]، أو أن يقول والله وحياتك[٧] أو يقول ما شاء الله وشئت[٨].

= مساجد» يحذر ما صنعوا. متفق عليه.
وقال: «**ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك**». أخرجه مسلم وغيره، ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وأتباعه، انظر: الأم (١/٢٧٨)، شرح مسلم للنووي (٥/١١ - ١٤) والزواجر (١/١٩٤).

(١) لما أخرجه مسلم وغيره أن النبي ﷺ قال: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها**». ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وأتباعه انظر: الأم (١/٤٦)، وشرح مسلم للنووي (٧/٣٨)، والزواجر (١/١٩٤).

(٢) تقدم ذكر الدليل في الفقرة السابقة ولمعرفة موقف الشافعية، راجع الموضوع (٨/٢٥٧).

(٣) قال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [سورة الحج، الآية: (٢٩)]، فالطائف بقبر إنما يشبهه في الحقيقة ببيت الله الحرام الذي يطوف به المسلمون. ولمعرفة موقف الشافعية راجع المجموع (٨/٢٥٧)، الزواجر (١/١٩٤)، وتطهير الجنان ص (٣٧).

(٤) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر قال: «**نهىٰ رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنىٰ عليه بناء**».
ولمعرفة موقف الشافعية انظر شرح مسلم للنووي (٧/٣٧).

(٥) من المعروف أن الله تعالى لم يشرع لنا تقبيل بقعة معينة سوى الحجر الأسود، ولم يشرع لنا مسح شيء واستلامه سوى الحجر والركن اليماني، أما فعل هؤلاء عند القبور فهو من الغلو الموقع في الشرك والبدع الغليظة لأنه مساواة بين المشاعر المقدسة وبين القبور، وهذا فعل من ضلوا ويحسبون أنهم مهتدون.
ولمعرفة موقف الشافعية، انظر المجموع (٨/٢٥٧).

(٦) تقدّم ذكر الدليل في الفقرات السابقة. ولمعرفة موقف الشافعية انظر: المجموع (٥/٢٦٦).

(٧) لقول النبي ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**». انظر: تفسير ابن كثير (١/١٠١).

(٨) لقول النبي ﷺ: «**أجعلتني لله ندًا**»، لمن قال له «ما شاء الله وشئت». انظر: تفسير ابن كثير الشافعي (١/١٠١).

وقال الشافعي: «وأكره أن يبنى على القبر مسجد وأن يسوىٰ أو يصلىٰ عليه وهو غير مسوى أو يصلى إليه»[١].

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «يكره أن يجصص القبر وأن يكتب عليه اسم صاحبه، أو غير ذلك، وأن يبنى عليه»[٢].

وقال أيضاً: «ورأيت من الولاة من يهدم ما بني فيها ولم أر الفقهاء يعيبون عليه ذلك ولأن في ذلك تضييقاً على الناس»[٣]. «وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس»[٤].

وقال النووي: «ويكره تجصيص القبر والبناء والكتابة عليه ولو بني في مقبرة مُسبّلة هدم»[٥].

وقال ابن حجر المكي الهيتمي: «الكبيرة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتسعون اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثاناً، والطواف بها، واستلامها، والصلاة إليها... ثم قال: تنبيه: عُدّ هذه ستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية، كأنه أخذ ذلك مما ذكرته من هذه الأحاديث ووجه أخذ القبر مسجداً منها واضح لأنه - يعني النبي، ﷺ، لعن من فعل ذلك، وجعل من فعل ذلك بقبور صلحائه شر الخلق عند الله يوم القيامة، ففيه تحذير لنا كما في رواية: **«يحذر ما صنعوا»**[٦] أي

---

(١) الأم (١/ ٢٧٨) ولعله لا يقصد بالتسوية تسوية القبر بالأرض فإنها مأمور بها لكن لعله يقصد جعل القبر مستوى الأسطح والحواف وغير ذلك بحيث لا يكون فيه نتوءات ولا بروز والله أعلم.

(٢) المجموع (٥/ ٢٦٦).

(٣) المجموع (٥/ ٢٦٦).

(٤) المهذب (١/ ٤٥٦).

(٥) السراج الوهاج (١/ ١١٤).

(٦) البخاري (٧/ ٧٤٧) ح (٤٤٤٣) في المغازي باب مرض النبي ﷺ، مسلم=

يحذر أمته بقوله لهم ذلك من أن يصنعوا كصنع أولئك، فيلعنوا كما لعنوا، واتخاذ القبر مسجداً، معناه الصلاة عليه أو إليه، وحينئذ فقوله: والصلاة إليها مكرر إلا أن يراد باتخاذها مساجد الصلاة عليها فقط، نعم إنما يتجه هذا الأخذ إن كان القبر معظماً من نبي أو ولي كما أشارت إليه الرواية: «**إن كان فيهم الرجل الصالح**[(١)]...» ومن ثمَّ قال أصحابنا: تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء... ومثلها مثل: الصلاة عليه، والتبرك والإعظام، وكون هذا الفعل كبيرة ظاهرة ظاهر من الأحاديث المذكورة، وكأنه قاس على ذلك كل تعظيم للقبر: كإيقاد السرج عليه تعظيماً له وتبركاً به، والطواف به كذلك، وهو أخذ غير بعيد سيما وقد صرَّح في الحديث المذكور آنفاً بلعن من اتخذ على القبر سرجاً، وأما اتخاذها أوثاناً فجاء النهي عنه بقوله ﷺ: «**لا تتخذوا قبري وثناً يعبد بعدي**»[(٢)] أي لا تعظموه تعظيم غيركم لأوثانهم بالسجود له أو بنحوه إلى أن قال: فإن أعظم المحرَّمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد أو بناءها عليها والقول بالكراهة محمول على غير ذلك إذ لا يظن بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي، ﷺ، لعن فاعله، ويجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور إذ هي أضر من مسجد الضرار لأنها أسست على معصية الرسول، ﷺ، لأنه نهىٰ عن ذلك وأمر، ﷺ، بهدم القبور المشرفة وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على القبر ولا

= (١/ ٣٧٧)، ح (٥٣١) في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور من حديث عبيد الله بن عبد الله عن عائشة وابن عباس مرفوعاً.

(١) مسلم (١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦) ح (٥٢٨) في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً.

(٢) أخرجه بنحو هذا اللفظ أحمد (٢/ ٢٢٦) من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً ومالك مرسلاً (١/ ١٧٢) ح (٨٥) وعبد الرزاق في المصنف مرسلاً (٨/ ٤٦٤) من طريق صفوان بن سليم عن سعيد بن أبي سعيد المهري.

يصح وقفه ونذره»[١].

وقال النووي: «ولا يجوز أن يطاف بقبره ﷺ ويكره لصاق البطن والظهر بجدار القبر قاله أبو عبيد الله الحليمي وغيره، قالوا: ويكره مسحه باليد وتقبيله بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه من حضره في حياته ﷺ.

هذا هو الصواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه ولا يغتر بمخالفة كثير من العوام وفعلهم كذلك فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء ولا يلتفت إلى محدثات العوام وغيرهم وجهالاتهم... ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وكيف يبتغي الفضل في مخالفة الصواب»[٢].

وقال البغوي: «يكره أن يضرب على القبر مظلة لأن عمر ـ رضي الله عنه ـ رأىٰ مظلة على قبر فأمر برفعها وقال: دعوه يظله عمله»[٣].

وجاء في المنهاج وشرحه لابن حجر ما ملخصه: «ويكره تجصيص القبر والبناء عليه... والكتابة عليه للنهي الصحيح عن الثلاثة، سواءً كتابة اسمه وغيره في لوح عند رأسه أو في غيره، نعم بحث الأذرعي حرمة كتابة القرآن للامتهان بالدوس والتنجيس بصديد الموتىٰ عند تكرار الدفن ووقع المطر وندب كتابة اسمه لمجرد التعريف به على طول السنين لا سيما بقبور الأنبياء والصالحين... قال: ليس العمل عليه الآن فإن أئمة المسلمين من المشرق للمغرب مكتوب على قبورهم، فهو عمل قد أخذ به الخلف عن السلف ويرد بمنعه هذه الكلية وبفرضها فالبناء على قبورهم أكثر من الكتابة عليها في المقابر

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ١٩٥).
(٢) المجموع (٨/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨).
(٣) المجموع (٥/ ٢٦٦).

المسبلة كما هو مشاهد لا سيما بالحرمين ومصر ونحوهما وقد علموا بالنهي عنه، فكذا هي، فإن قلت: هو إجماع فعلي وهو حجة كما صرَّحوا به قلت: ممنوع بل هو أكثري إذ لم يحفظ ذلك حتى عن العلماء الذين يرون منعه، وبفرض كونه إجماعاً فعليًّا فعمل حجيته كما هو ظاهر عند صلاح الأزمنة بحيث ينفذ فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد تعطَّل ذلك منذ أزمنة، ولو بني نفس القبر لغير حاجة مما مر كما هو ظاهر إلى أن قال: وقد أفتى جمع بهدم كل ما بقرافة[١] مصر من البناء حتى قبة إمامنا الشافعي - رضي الله عنه - التي بناها بعض الملوك، وينبغي لكل أحد هدم ذلك ما لم يخش منه مفسدة فيتعين الرفع للإمام[٢].

وقال البيضاوي: كما في حاشية السيوطي على سنن النسائي: «لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم ويتوجهون إليها تعظيماً لشأنهم ويجعلونه قبلة يتوجهون في الصلاة والدعاء نحوها واتخذوها أوثاناً لعنهم الله ومنع المسلمين من مثل ذلك وأصل الشرك إنما حدث من تعظيم القبر والتوجه إليه»[٣].

وقال السويدي الشافعي: فتراهم يرفعونها فوق كل رفيع، ويكتبون عليها الآيات القرآنية، ويعملون لها التوابيت من خشب الصندل والعاج، ويضعون فوقها ستور الحرير المحلاة بالذهب العقيان والفضة الخالصة، ولم يرضهم ذلك حتى أداروا عليها شبابيك من الفضة وغيرها، وعلقوا عليها قناديل الذهب، وبنوا عليها قباباً من الذهب أو الزجاج المنقوش، وزخرفوا أبوابها، وجعلوا لها الأقفال من الفضة وغيرها خوفاً عليها من اللصوص، كل ذلك مخالف لدين الرسل، وعين المحادَّة لله ورسوله، فإن كانوا متبعين فلينظروا

(١) هي المكان الذي يقبر فيه.

(٢) كما في العقد الثمين ص (١٨٦).

(٣) حاشية سنن النسائي (٢/ ٤٢).

إليه، ﷺ، كيف كان يفعل بأصحابه الذين هم أفضل الأصحاب، وينظروا إلى قبره الشريف وما عملت الصحابة فيه»[(١)].

وقال النووي: «إنما نهىٰ النبي، ﷺ، عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه والافتتان به، فربما أدّى ذلك إلى الكفر كما جرىٰ لكثير من الأمم الخالية، ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله، ﷺ، حين كثر المسلمون، وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة ـ رضي الله عنها ـ مدفن رسول الله، ﷺ، وصاحبيه أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد ويؤدّي إلى المحذور ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يمكن أحد من استقبال القبر»[(٢)].

وجاء في الباعث في إنكار البدع والحوادث ص ١٠٣: «فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البراء والشفاء من قبلها وينوطون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها».

شبهة وجوابها: لقد استدل القبورية على جواز بناء المساجد على القبور بقصة أصحاب الكهف حيث اتخذ قومهم عليهم مسجداً وأجاب عن هذه الشبهة الحافظ ابن كثير بجوابين:

الأول: أن هذا عمل الكفار والمشركين فليس بحجة.

والثاني: على فرض أن هذا عمل المسلمين ولكن هم غير محمودين في هذا العمل[(٣)].

---

(١) العقد الثمين ص (١٨٥).
(٢) شرح صحيح مسلم (٥/ ١٣ ـ ١٤).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٧٨).

المبحث الرابع
نماذج من الشرك
التي حذّر منها علماء الشافعية

جاء عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وبعض أتباعه النهي عن أنواع الشرك الأكبر والأصغر: كالدعاء والاستغاثة بغير الله[1] والسجود

(١) لقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال، الآية: (٩)]. ولقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة غافر، الآية: (٦٠)]. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة الأحقاف، الآية: (٥)]. وقول النبي ﷺ: «**إن الدعاء هو العبادة**».

ولمزيد من التعرُّف على أقوال الشافعية: انظر الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر المكي ص (٩٥، ٧١) والعقد الثمين، وتطهير الجنان ص (٣٨).

وأما ما حكى بعضهم عن الشافعي أنه قال: «إذا نزلت بي شدة أجيء فأدعو عند قبر أبي حنيفة فأجاب» قال الألوسي الحنفي: هذا كذب معلوم كذبه عند من له معرفة بالنقل فإن الشافعي لما قدم بغداد لم يكن ببغداد قبر ينتاب للدعاء عنده البتة، بل ولم يكن عند عهد الشافعي معروفاً وقد رأى الشافعي بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين من كان أصحابها عنده وعند المسلمين أفضل من أبي حنيفة وأمثاله من العلماء، فما باله لم يتوخ الدعاء إلا عنده؟ ثم أصحاب أبي حنيفة الذين أدركوه مثل أبي يوسف ومحمد وزفر والحسن بن زياد وطبقتهم لم يكونوا يتحرون الدعاء لا عند قبر أبي حنيفة ولا عند قبر غيره، ثم إن الشافعي قد صرَّح في بعض كتبه بكراهة=

لغير الله[1]، والركوع لغير الله[2]، والنذر لغير الله[3]، والذبح لغير الله[4]

= تعظيم القبور خشية الفتنة بها، وإنما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه وإما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف ونحن لو روي لنا مثل هذه الحكايات المسيبة أحاديث عمن لا ينطق عن الهوى لما جاز التمسك بها حتى تثبت بطرق أهل الحديث فكيف بالمنقول عن غيره. ومنها ما قد يكون صحابي قاله أو فعله باجتهاد يخطىء ويصيب أوقال بشروط وقيود كثيرة على وجه لا محذور فيه فحرِّف النقل عنه كما أن النبي ﷺ: لما أذن في زيارة القبور بعد النهي فهم المبطلون أن ذلك هو الزيارة التي يفعلونها من حجها للصلاة عندها والاستغاثة بها ثم سائر هذه الحجج دائرة بين نقل لا يجوز إثبات الشرع به، أو قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله مع العلم بأن الرسول ﷺ لم يشرعها». فتح المنان ص (٣٧٢ ـ ٣٧٣).

(١) لقوله تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة آل عمران، الآية: (٤٣)]. ولمعرفة موقف الشافعية انظر روضة الطالبين (٧/ ٢٨٣، ٢٨٤)، والجمل على شرح المنهج (٥/ ١٢٤) ومغني المحتاج (٤/ ١٣٦)، والإعلام بقواطع الإسلام (٩٥، ٦٣، ١٩، ٩٣، ٩٨، ٢٠، ٢١)، وتطهير الجنان ص (٣٧).

(٢) لقوله تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[سورة آل عمران، الآية: (٤٣)] ولمعرفة موقف أئمة الشافعية. انظر الجمل على شرح المنهج (٥/ ١٢٤).

(٣) لقوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ [سورة الحج، الآية: (٢٩)]. فالنذر عبادة لا تنبغي إلا لله تعالى.

ولمزيد التعرف على أقوال الشافعية انظر: المجموع (٨/ ٤٣٥)، ومغني المحتاج (٤/ ٣٧١)، وتطهير الجنان ص (٣١، ٣٧)، والعقد الثمين ص (٢١٩)، وفتح المجيد ص (٢١٣)، وقرة عيون الموحدين ص (٩٦، ٨٦).

(٤) لقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [سورة الكوثر، الآية: (٢)] وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [سورة الأنعام، الآية: (١٦٢)].

فالذبح عبادة لا تنبغي إلا لله وعلى اسم الله ولا يجوز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه.

ولمعرفة أقوال أئمة الشافعية انظر: روضة الطالبين (٧/ ٢٨٤)، والزواجر (١/ ١٦٧)، والعقد الثمين ص (٢٢٢)، وتطهير الجنان ص (٣٧).

أو اعتقاد أن أحداً يعلم الغيب[١] والحلف بغير الله[٢] وقول ما شاء الله وشئت[٣]، واعتقاد أن السحر له تأثير بذاته[٤].

قال الشافعي: «ومن حلف بشيء غير الله جل وعز مثل أن يقول الرجل: «والكعبة، وأبي، وكذا وكذا مكان، فحنث فلا كفارة عليه، ومثل ذلك قوله: لعمري لا كفارة عليه، وكل يمين بغير الله فهي مكروهة منهي عنها من قبل قول رسول الله ﷺ: **«إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليسكت»**[٥] أخبرنا ابن عيينة، قال: حدَّثنا الزهري، قال: حدَّثنا سالم عن أبيه قال: سمع النبي، ﷺ، عمر يحلف بأبيه فقال: **«ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا**

---

(١) لقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الجن، الآية: (٢٦)]. وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة النمل، الآية: (٦٥)].
ولمعرفة أقوال الشافعية: انظر الإعلام بقواطع الإسلام ص (٦٩، ٧١)، العقد الثمين، البغوي (٤/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦).

(٢) لقوله ﷺ: **«من حلف بغير الله فقد أشرك»** وفي لفظ: **«فقد كفر»**.
ولمعرفة أقوال الشافعية: انظر الأم (٧/ ٦١) المجموع ص (١٩، ٢٢٧ ـ ٢٢٨)، شرح السنة (١٠/ ٩)، إحكام الأحكام لابن دقيق العيد (٤/ ١٤٤)، حلية العلماء (٧/ ٢٤٦)، ومغني المحتاج (٤/ ٣٢٤)، والجمل على شرح المنهج (٥/ ٢٨٨)، وفتح الباري (١١/ ٥٣٠ ـ ٥٣١).

(٣) لقول النبي ﷺ: **«أجعلتني لله ندًا؟ قل ما شاء الله وحده»** وذلك لمن قال له ما شاء الله وشئت.
ولمعرفة موقف الشافعية انظر: شرح السنة (١٢/ ٣٦٠ ـ ٣٦١).

(٤) لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الأعراف، الآية: (١١٦)] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [سورة طه، الآية: (٦٩)]. وانظر موقف الشافعية في كتاب الإعلام بقواطع الإسلام ص (٩٨).

(٥) أخرجه البخاري (١١/ ٥٣٠) ح (٦٦٤٦) في الأيمان والنذور باب لا تحلفوا بآبائكم، ومسلم في الأيمان (٣/ ١٢٦٦) ح (١٦٤٦) باب النهي عن الحلف بغير الله، والنسائي (٧/ ٤) في الأيمان باب الحلف بالآباء وأبو داود (٣/ ٥٦٩) ح (٣٢٤٩)، في الأيمان باب في كراهية الحلف.

بآبائكم قال عمر ـ رضي الله عنه ـ والله ما حلفت بها بعد ذلك»[١] وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ: فكل من حلف بغير الله كرهت له وخشيت أن تكون يمينه معصية»[٢].

وقال ابن حجر الهيتمي المكي: «الكبيرة السابعة والستون بعد المائة: الذبح باسم غير الله على وجه لا يكفر به، بأن لا يقصد تعظيم المذبوح له، كنحو التعظيم بالعبادة والسجود إلى أن قال: وجعل أصحابنا مما يحرم الذبيحة أن يقول باسم الله واسم محمد أو محمد رسول الله بجر اسم الثاني أو محمد إن عرف النحو فيما يظهر أو يذبح كتابي لكنيسة أو لصليب أو لموسىٰ أو لعيسىٰ ومسلم لكعبة أو لمحمد، ﷺ، أو تقرب بالسلطان أو غيره أو للجن فهذا كله يحرم المذبوح وهو كبيرة»[٣].

وقال الرافعي في شرح المنهاج: «وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ أو على اسم من حلها من الأولياء أو تردد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين فإن قصد الناذر بذلك ـ وهو الغالب أو الواقع قصود العامة ـ تعظيم البقعة أو المشهد أو الزاوية أو تعظيم من دفن بها أو نسبت إليه أو بنيت على اسمه، فهذا النذر باطل غير منعقد فإن معتقدهم أن لهذه الأماكن خصوصيات ويرون أنها مما يدفع بها البلاء، ويستجلب بها النعماء، ويستشفىٰ بالنذر لها من الأدواء حتى إنهم ينذرون لبعض الأحجار لما قيل لهم إنه استند إليها عبد صالح، وينذرون لبعض القبور السرُج والزيت، ويقولون: القبر الفلاني أو المكان الفلاني يقبل النذر، يعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٥٧٠) ح (٣٢٥٠)، في الأيمان باب في كراهية الحلف بالآباء، والنسائي كتاب الأيمان باب الحلف بالآباء (٧/ ٤) ح (٢٧٦٦) وابن ماجه في الكفارات (١/ ٦٦٧) ح (٢٠٩٤) من رواية سالم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه.

(٢) كتاب الأم (٧/ ٦١).

(٣) الزواجر (١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥).

من شفاء مريض، أو قدوم غائب، أو سلامة مال، وغير ذلك من أنواع نذر المجازات، فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه، بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقاً، ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل، عليه السلام، ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء، فإن الناذر لا يقصد بذلك الإيقاد على القبر إلا تبركاً وتعظيماً ظاناً أن ذلك قربة، فهذا مما لا ريب في بطلانه، والإيقاد المذكور محرَّم سواءً انتفع به هناك منتفع أم لا»[١].

وقال النووي: «إذا نذر المشي إلى مسجد غير المساجد الثلاثة، وهي: المسجد الحرام، والمدينة، والأقصىٰ لم يلزمه ولا ينعقد نذره عندنا»[٢].

وقال ابن حجر المكي في شرح المنهاج: «لا يقول باسم الله واسم محمد» قال ابن حجر: «يحرم عليه ذلك للتشريك لأن من حق الله تعالى أن يجعل الذبح باسمه فقط كما في اليمين باسمه نعم إن أراد الذبح باسم الله والتبرك باسم محمد كره فقط»[٣].

وقال أحمد بن حجر آل بوطامي الشافعي: «أي لا ينذروا لغير الله، ولا يطوفوا بغير البيت العتيق، فلا يجوز النذر للأولياء ولا للصالحين ولا الطواف بقبورهم كما يفعله الجاهلون بقبر الجيلاني، والحسين، والبدوي، والدسوقي، وغيرهم فإن هذا شرك لا مراء فيه، وكثير من المبتدعين الجاهلين ينذر للصالحين، وبعضهم يرسل أموالاً. . للسدنة ولتعمير القباب كما يفعل ذلك الكثير من الهنود والباكستانيين بنذرهم لعبد القادر الجيلاني، وإرسالهم إلى ضريحه أموالاً وافرة، هذا ممن زعم أنه من أهل السنة وأما شيعة الهنود والباكستانيين والإيرانيين فإنهم ينذرون أموالاً بقبور أهل البيت في

(١) فتح المجيد ص (٢١٣).

(٢)(٣) المجموع (٨/ ٤٧١).

النجف وكربلاء وخراسان وقم، ويشدون الرحال من مختلف الأقطار إلى تلك القبور للطواف بها، والاستغاثة بساكنيها وطلب قضاء الحاجات وتفريج الكربات مما لا يقدر عليه إلا خالق الأرض والسماوات، وكذلك لا يجوز النذر لقبور الأولياء والصالحين، فكذا لا يجوز الوقف من بيوت وعقار على قبورهم، فمن نذر لغير الله فلا يجب عليه الوفاء، بل يستغفر الله، ويتوب إليه، ويأتي بالشهادتين لأنه مرتد إن علم أن النذر لغير الله شرك، ومن وقف عقاراً أو حيواناً على قبور الأولياء فوقف باطل، أو وصَّىٰ لها فوصيته باطلة، وذلك العقار أو الحيوان لا زال على ملك صاحبه، نسأل الله لنا ولهم التوفيق.

وقول بعضهم: إن النذر لله والثواب للولي كلام باطل وضلال عاطل فأيُّ شيء أدخل الولي هنا؟! إن كان قصده الصدقة فليتصدَّق على الفقراء عن نفسه وعن أبويه وأقاربه، وما يدريه بأن صاحب هذا القبر ولي! والأمور بخواتيمها فقد يكون ظاهره صديقاً، وباطنه زنديقاً، ويظهر كذبهم وضلالهم أنهم يأخذون الأغنام ويذبحونها عند القبر، فإذا أنكرت عليهم قالوا الذبح لله والثواب للولي، وليس القصد من هذا إلا التلبيس وقلب الحقائق، وهم لم يقصدوا إلا الولي. على أن العلماء قد صرَّحوا أن لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله للحديث عن ثابت بن الضحّاك قال: «نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة فسأل النبي، ﷺ، فقال: **«هل كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟»** قالوا: لا، فقال رسول الله ﷺ: **«أوف بنذرك، فإنه لا وفاء للنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»**[١]...»[٢].

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الأيمان والنذور باب ما يؤم به من الوفاء بالنذر (٣/ ٦٠٧) ح (٣٣١٣) والبيهقي في السنن (١٠/ ٨٣) والطبراني في الكبير ح (١٣٤١) من حديث ثابت بن الضحاك وصححه الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ١٨٠).

(٢) تطهير الجنان ص (٣١ ـ ٣٢).

وقد أجاب أحمد بن حجر آل بوطامي الشافعي عن شبهات القبورية وهي:

الأولى: قول بعض الجاهلين: إن هؤلاء - يعني القبوريين - يقرون بالخالق، ويعتقدون بشرائع الإسلام وبيوم الجزاء، وغاية ما هنالك أنهم يتوسلون بهؤلاء الصالحين، ولا يرضون بلقب الشرك، بل ينفرون منه، فكيف يمكن أن يقال: بأنهم مشركون؟

الثانية: أن المشركين كان كفرهم من أجل إنكارهم للربوبية لا من حيث صرف العبادة لغير الله مستدلين بقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[1] وبقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾[2].

أجاب بما يأتي:

الجواب عن الشبهة الأولى: قال: فالجواب عن تسميتهم مشركين أن الكفر والشرك شعب وأنواع كما أن الإيمان له شعب، فإذا ما أتىٰ بكثير من شعب الإيمان وأتى معه بشيء من شعب الشرك، فيقال له: مشرك، مثلاً لو صلَّى وصام واعتقد بالرسالة والقيامة واتصف بالزهد ومكارم الأخلاق لكنه اعتقد في كوكب بأن له تأثيراً، أو أن بيده نفعاً أو ضرًا، أو اعتقد في ملك أو رسول ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله فنسميه مشركاً، وإن أتىٰ بتلك الأعمال الصالحة، وإلا فما معنى كتاب الردة، ولا يلزم أن يحكم على أحد بكفر أو شرك إلا إذا أتى بجميع خصاله وأنواعه، وتوسلهم لاعتقادهم بأنهم مذنبون وهؤلاء أقرب عند الله فيوسطونهم بينهم وبين الإله، هذا هو شرك العرب بعينه... وأما تشهدهم بالشهادتين فهو منتقض بأعمالهم المنافية لهما كالحدث بعد الوضوء وإقرارهم بالخالق لا يفيد لأن المشركين كانوا مقرين بالربوبية ولم يدخلهم في الإسلام.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: (٦٠).

(٢) سورة الرعد، الآية: (٣٠).

وأما قول من يقول بأن مشركي العرب كانوا منكرين للبعث.

فالجواب: أن هذا الاعتقاد من جملة المكفرات، والرسول، ﷺ، كفَّرهم وأباح دماءهم لأمور كثيرة، أعظمها عبادتهم للأوثان ومنها إنكارهم للبعث، ولا يقبل من الإنسان أن يؤمن ببعض ويكفر ببعض، بل واجب عليه أن يذعن معتقداً بكل ما أتىٰ به القرآن وجاء به الرسول، ﷺ، ويعمل بهما، فمن آمن ببعض ولم يؤمن بالبعض الآخر فهو كافر، كما قال الله ـ تعالى ـ مخبراً عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ ولا ينفعهم مجرد النطق بكلمة الشهادتين حتى يعمل بمقتضاها من البراءة مما يعبد من دون الله، وصرف جميع العبادات كائنة ما كانت إلى الله... ولكن هل يحكم على الشخص المعين أو الطائفة المخصوصة المتلوثة بتلك الخصال المنافية للتوحيد بالشرك والكفر؟ مع أنها مؤمنة بالله والرسول، وآتية بسائر الشرائع؟

الجواب: يقال هذا العمل شرك وكفر، مثلاً كالسجود للولي والطواف بقبره أو النذر له، ولكن الشخص المعين أو الطائفة المخصوصة لا نبادرها بالتكفير بل الواجب تبليغها بآيات القرآن وأحاديث الرسول، ﷺ، المبينة للشرك والمحذرة عنه، وأن ليس لصاحبه نصيب من الجنة، وأن هذه الأعمال هي شرك فإذا أصر الشخص المعين أو الطائفة المخصوصة وعاندت ولم تقبل، فعند ذلك يحل عليها إطلاق الشرك أو عليه إن كان فرداً معيناً وليكن الشخص ذا تفرقة بين الشرك الأصغر والشرك الأكبر، كالرياء فإنه شرك أصغر، والسجود والنذر لغير الله أكبر...، فإن قيل يلزم من كلامكم تكفير الأكثرية من الأمة المحمدية حيث إنهم يعلمون ما تقولون بأنه شرك مثل النذر للأولياء والنحر لهم:

فالجواب:

أولاً: أن القول بالعموم مغاير للقول بالخصوص.

ثانياً: غلبة الجهل، وقلة العلم بالتوحيد والسنة المطهرة، ومعرفة الشرك وأقسامه وذرائعه في كثير من الأماكن والبلدان هو المانع من الحكم بالشرك على المعين إلا من بلغته النصوص وقامت عليه الحجة ثم أصر معانداً فذاك يحكم عليه بالشرك»[١].

الجواب عن الشبهة الثانية: «**أن الآية الأولى**: فيها استفهام عن الرحمن، والاستفهام عن الشيء لا يكون جحداً له، على أننا لو قلنا استفهام إنكاري فإنه إنكار للتسمية بالرحمن لا غير، كما يوضحه كتابه صلح الحديبية، **والآية الثانية**: فيها الكفر بالرحمن، والكفر بالشيء لا يكون إنكاراً له تقول لمن فعل فعلاً كفرياً: كفر فلان، وهذا يدل على أنه منكر للرب، على أنه معارض بالآيات المنبئة عن اعترافهم بالربوبية»[٢].

ومن هنا يتبين لنا مدى تحذير علماء الشافعية من الشرك وعاقبته الوخيمة في الدنيا والآخرة، والله المستعان وعليه التكلان.

---

(١) العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية ص (٣٧، ٤٠).

(٢) المصدر السابق نفسه ص (٤٤).

الخاتمــة

الحمد لله الذي أعانني على الفراغ من هذا الكتاب، وإنما كان ذلك بمنّه وفضله فله الحمد، ومن أهم النتائج المستفادة من هذا الكتاب:

١ ـ أن كلام الشافعي ومتقدمي أصحابه وكان قليلاً فيما يتعلق بالبدع القبورية، وذلك لأنها لم تكن منتشرة في عهده، بخلاف المتأخرين من أتباعه الذين كثر كلامهم في هذا الباب.

٢ ـ أن كثيراً من علماء الشافعية لهم جهود مشكورة في سد منافذ الشرك وحماية جناب التوحيد.

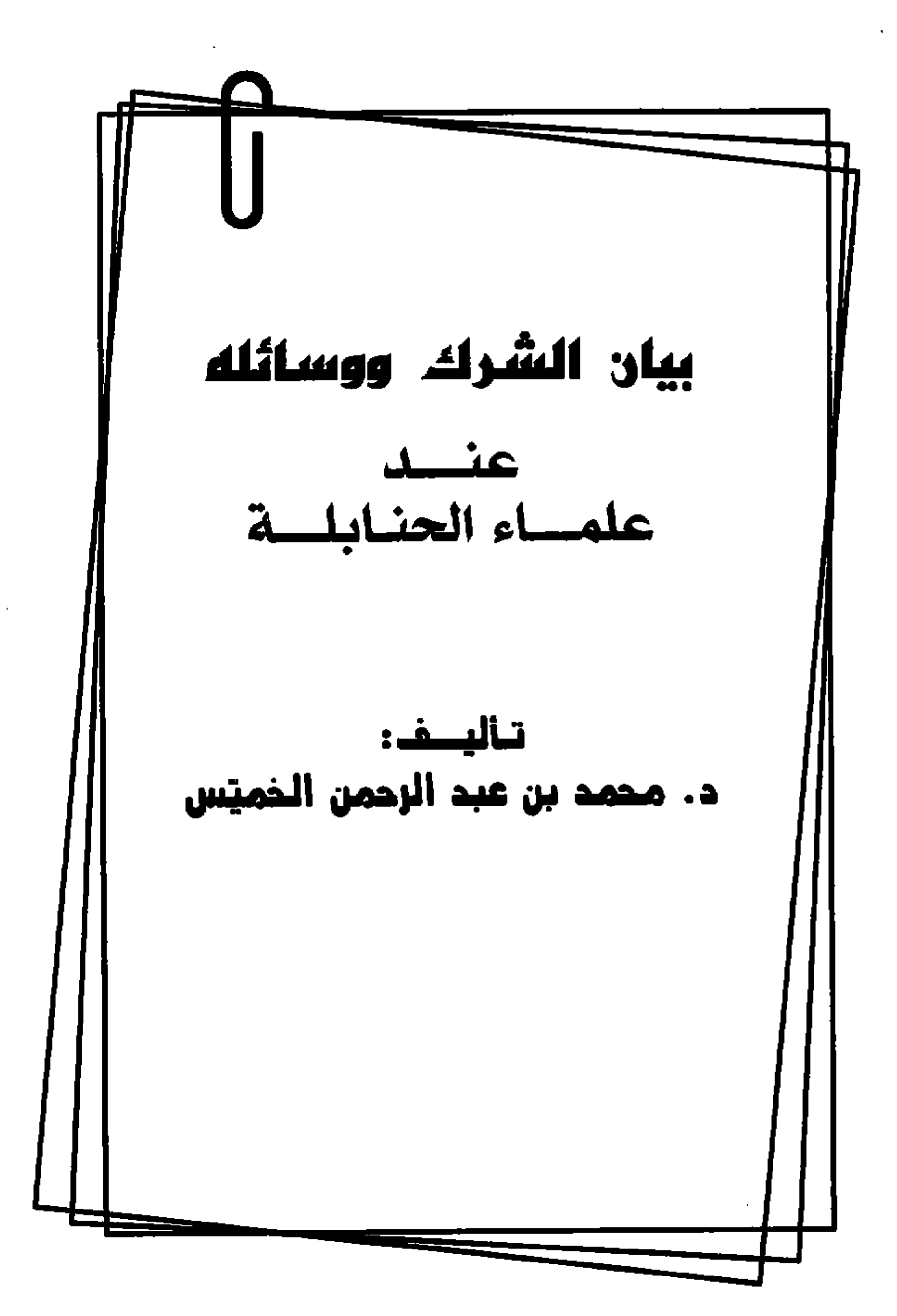
٣ ـ أن بدع القبور كانت وبالاً على كثير من الناس حيث أوقعتهم في الشرك الأكبر.

٤ ـ مدى احتياط الشارع في الحفاظ على التوحيد، وتحريمه لكل الوسائل المفضية إلى الشرك ومنها ما يتعلق بتعظيم القبور.

٥ ـ مدى إهانة الشرك للإنسان بتعبيده لغير الله، وإفساده لعقله بما يجيزه من الأساطير والخرافات.

وهذا جهد المقل وأسأل الله ـ تعالى ـ أن يتقبله خالصاً لوجهه الكريم، وعذراً للقراء عن أي تقصير، فالضعف سمة ابن آدم.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



بيان الشرك ووسائله

عنـــد

علمـــاء الحنابلـــة

تأليــف:

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[(١)].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[(٢)].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[(٣)].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: (٧٠، ٧١).

ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد: فهذا هو الكتاب الرابع من سلسلة (بيان الشرك ووسائله).

وكان الأول من بيان الشرك ووسائله عند علماء الحنفية، بينما كان الثاني عن نفس الموضوع عند المالكية، على حين كان الكتاب الثالث عن نفس الموضوع عند الشافعية.

وهذا الكتاب الرابع: يتعلق ببيان الشرك ووسائله عند علماء الحنابلة، وقد التزمت بألا أذكر فيه شيئاً من أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية، ولا تلميذه العلامة ابن القيم، ولا كلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ولا أحد من أبنائه، وذلك رغبة مني في بيان اهتمام الحنابلة بهذه المسائل الخطيرة، وعدم انحصار المتكلمين فيها فيمن سبق ذكرهم، إذ إنهم من أشهر من تكلم في هذه المسائل وأكثرهم تطرقاً إليها حتى ليكاد بعض الجهال ينسب إليهم مسائل العقيدة هذه فيقال: الوهابية.. وما شاكل ذلك.

ومن الدلائل الواضحة على اغترار كثير من الناس بما قيل في حق أئمة الدعوة وما نسب إليهم، قول محمد رشيد رضا[١] ـ رحمه الله ـ: (كنا نسمع في صغرنا أخبار الوهابية المستمدة من رسالة دحلان هذا ورسائل أمثاله فنصدقها بالتبع لمشايخنا وآبائنا، ونصدق أن الدولة العثمانية هي حامية الدين ولأجله حاربتهم وخَضَدت شوكتهم، وأنا لم أعلم بحقيقة هذه الطائفة إلا بعد الهجرة إلى مصر والاطلاع على تاريخ الجبرتي[٢]

---

(١) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني البغدادي الأصل الحسيني النسب صاحب مجلة المنار وأحد رجال الإصلاح الإسلامي ولد وتعلم في طرابلس الشام ومات في القاهرة سنة (١٣٥٤هـ) انظر الأعلام (٦/ ١٢٦) ومعجم المؤلفين (٩/ ٣١٠).

(٢) هو عبد الرحمن بن حسن الجبرتي مفتي الحنفية في عهد محمد علي خديوي الكبير توفي سنة (١٢٣٧هـ) انظر الأعلام (٣/ ٣٠٤) ومعجم المؤلفين (٥/ ١٣٣).

وتاريخ الاستقصا[1] في أخبار المغرب الأقصى، فعلمت منهما أنهم هم الذين كانوا على هداية الإسلام دون مقاتليهم وأكده الاجتماع بالمطلعين على التاريخ من أهلها. . . إلخ)[2].

والحنابلة هم المنتسبون إلى مذهب الإمام المبجل أحمد بن محمد بن حنبل في الفروع، وهو أحد الأئمة الأربعة المتبوعين، وكان ـ رحمه الله ـ صلب الدين، متباعداً عن الولاة والسلاطين صادعاً بالحق لا يخاف في الله لومة لائم، توفي ـ رحمه الله ـ سنة **٢٤١**هـ بعدما ابتلي بالمحنة فصبر فرفع الله بذلك ذكره، وجعله للعلماء إماماً وقدوة.

وقد قسمت الكتاب إلى أربعة مباحث:

الأول: تعريف الشرك عند بعض علماء الحنابلة.

الثاني: أنواع الشرك عند هؤلاء العلماء.

الثالث: وسائل الشرك التي حذروا منها لحماية جناب التوحيد.

الرابع: نماذج من الشرك والتي ذكروها وحذروا منها.

والله أسأل أن يجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

---

(١) الاستقصاء مؤلفه أحمد بن خالد الناصري الدرعي السّلاوي مؤرخ وباحث توفي سنة (١٣١٥هـ) انظر الأعلام (١/ ١٢٠). ومعجم المؤلفين (١/ ٢١٤).

(٢) مقدمة كتاب صيانة الإنسان ص (٨).

المبحث الأول
تعريف الشرك عند بعض علماء الحنابلة

وقبل الشروع في بيان الشرك وتعريفه عند بعض علماء الحنابلة، فإننا نبين معنى الشرك في اللغة فنقول: الشرك لغة: شَرِكَ: أي صار شريكاً له نصيب في الشيء ومصدرها: شِرْك، وشَرِكة، ومِشْركة وأشركه في أمره: أدخله فيه، وشاركه: كان شريكه، وشرَّك بينهم: جعلهم شركاء.

أما عند علماء الحنابلة، فقد اختلفت عباراتهم في تعريف الشرك وإن كان مضمونها واحداً.

فقد قال ابن رجب: «جعل المخلوق في منزلة الخالق فعبده وتألهه، فهو وضع الأشياء في غير موضعها، وأكثر ما ذكر في القرآن وعيد الظالمين، إنما أريد به المشركون كما قال الله عز وجل: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1]»[2].

وقال في تعريف الشرك الأصغر موضحاً أنه الرياء: «وإنما زاد عذاب أهل الرياء على سائر العصاة لأن الرياء هو الشرك الأصغر،

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٥٤).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٨١).

والذنوب المتعلقة بالشرك أعظم من المتعلقة بغيره»[١].

وأشار إلى المراد بالشرك الخفي وذلك في قوله: «فإن جميع النعم من الله وفضله.. فمن أضاف شيئاً من النعم إلى غير الله مع اعتقاد أنه ليس من الله فهو مشرك حقيقة، ومع اعتقاد أنه من الله فهو شرك خفي»[٢].

وقال مفتي الحنابلة في مكة في وقته الشيخ أبو بكر بن محمد عارف خوقير: «فالشرك تشبيه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهية التي تفرد بها سبحانه وتعالى، وبعبارة أخرى: هو اعتقاد أن لغير الله أثراً فوق ما وهبه الله من الأسباب الظاهرة، وأن لشيء من الأشياء سلطاناً عما خرج عن قدرة المخلوقين»[٣].

وقال أيضاً: «وهو أن يجعل لغيره معه تدبيراً، فالربوبية منه سبحانه لعباده، والتأله من عباده له تعالى».

وقال أبو بكر بن محمد بن الحنبلي: «الشرك هو أعظم داء يبتلى الإنسان به، وهو أن يجعل المرء ندًّا لله، وهو عكس التوحيد، لذلك أنصح نفسي وكل مسلم ومسلمة أن يعرف الشرك ليجتنبه، حيث يقول ربنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[٤].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[٥]»[٦].

---

(١) التخويف من النار ص (٢٢٣).
(٢) لطائف المعارف ص (٧٠).
(٣) كتاب (ما لا بد منه) ص (٣٠).
(٤) سورة النساء، الآية: (٤٨).
(٥) سورة المائدة، الآية: (٧٢).
(٦) العقيدة في صفحات (٣٩).

المبحث الثاني
أقسام الشرك عند بعض علماء الحنابلة

الشرك ضد التوحيد، والواجب على المسلم أن يعرف أنواع الشرك صغيره وكبيره، الظاهر منه والخفي، كي يجتنبها فيسلم له دينه، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة هذه الأنواع، ووسائلها وما يفضي إليها، وسد منافذها.

وكما هو واضح من تعريف ابن رجب السابق للشرك وذلك في المبحث الأول، يتضح أن الشرك عنده ثلاثة أنواع: أكبر، أصغر، خفي.

وقد بسط القول في تفصيل بيانها أبو بكر بن محمد بن الحنبلي فقال:

«**أولاً: الشرك الأكبر**: وهو النوع الذي يوجب الخلود في النار، والخروج عن ملة الإسلام، ومنه أنواع ستة سنطرحها فيما يلي إن شاء الله:

١ ـ **شرك الدعاء**: وهو دعاء غير الله من الأنبياء والأولياء لطلب الرزق أو شفاء مرض أو غير ذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ

﴿مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾[(١)].

٢ ـ **شرك النية والإرادة والقصد**: وهو العمل الصالح للدنيا فقط، لقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[(٢)].

٣ ـ **شرك المحبة**: وهو محبة أحد الأولياء كمحبة الله[(٣)] لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[(٤)].

٤ ـ **شرك الطاعة**: وهو طاعة العلماء والمشايخ في المعصية مع استحلال ذلك لقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾[(٥)].

٥ ـ **شرك الحلول**: وهو اعتقاد أن الله تعالى حلّ في مخلوقاته كعقيدة ابن عربي الصوفي المدفون بدمشق وغيره.

٦ ـ **شرك التصرف**: وهو اعتقاد أن بعض الأولياء لهم تصرف في الكون، يدبرون أموره كالأقطاب والأبدال مع أن الله تعالى يسأل المشركين الأقدمين قائلاً: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾[(٦)] ا.هـ.

وقبل أن ننتقل من الكلام على أنواع الشرك الأكبر يجدر بنا أن نلفت النظر إلى عدم الوقوع في هذا الأمر الخطير وهو أن يقول

---

(١) سورة يونس، الآية: (١٠٦).

(٢) سورة هود، الآيتان: (١٥، ١٦).

(٣) الكلام غير دقيق وكان الأولى أن يقول: «محبة غير الله كمحبة الله» وذلك لعموم الآية في الباب.

(٤) سورة البقرة، الآية: (١٦٥).

(٥) سورة التوبة، الآية: (٣١).

(٦) سورة يونس، الآية: (٣١)، وكلامه بتمامه من كتاب العقيدة ص (٤٠، ٤١).

القائل: مطرنا بنوء كذا وكذا. حيث إن من قال هذا وهو معتقد أن للنوء تأثيراً في إنزال المطر فهذا كفر لأنه أشرك في الربوبية، وإن لم يعتقد ذلك فهو من الشرك الأصغر لأنه نسب نعمة الله إلى غيره.

ثانياً: **الشرك الأصغر**: وهو لا يخرج صاحبه من الملة، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمته فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: قارىء، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار**»[1].

وسنضرب بعض الأمثلة لبيان بعض أنواع الرياء جملة وتفصيلاً:

١ ـ **الرياء اليسير**: وهو التصنع للمخلوق كالمسلم الذي يعمل لله ويصلي لله ولكنه يحسّن صلاته وعمله ليمدحه الناس، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[2]، وقال ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم، اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في**

(١) أخرجه مسلم (٣/١٥١٤) كتاب الإمارة رقم (١٩٠٥).

(٢) سورة الكهف، الآية: (١١٠).

الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»[١].

٢ ـ ومن أنواع الرياء:

(أ) الرياء البدني: ويكون بإظهار النحول والاصفرار ليرى العباد بذلك شدة الاجتهاد، وغلبة خوف الآخرة، ويقرب من هذا خفض الصوت، وإغارة العينين وإظهار ذبول الجسم ليدل بذلك على أنه مواظب على الصوم.

(ب) الرياء من جهة الزي: كإبقاء أثر السجود على الوجه، وارتداء نوع معين من الزي ترتديه طائفة يعدهم الناس علماء فيرتدي هذا اللباس ليقال عالم.

(جـ) الرياء بالقول: وهو على الغالب رياء أهل الدين بالوعظ والتذكير، وحفظ الأخبار والآثار لأجل المحاورة وإظهار غزارة العلم، وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس، وإظهار الغضب للمنكرات بين الناس، وخفض الصوت وترقيقه بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن ونحو ذلك.

(د) الرياء بالعمل: كمراءاة المصلي بطول القيام، وتطويل الركوع والسجود وإظهار الخشوع والمراءاة بالصوم والغزو والحج، والصدقة ونحو ذلك.

(هـ) الرياء بالأصحاب والزائرين: كالذي يتكلف أن يستزير عالماً أو عابداً ليقال إن فلاناً قد زار فلاناً، ودعا الناس لزيارته كي يقال: إن أهل الدين يترددون عليه.

إذاً الرياء يعد من الشرك الأصغر، ولذلك الحلف بغير الله يعد من الشرك الأصغر، ولذلك فإن النبي ﷺ يقول: **«من حلف بغير الله**

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٤٢٨، ٤٢٩) وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٢٣/ ١٥٥٥).

فقد كفر أو أشرك»[١].

ثالثاً: الشرك الخفي: وقد فسره ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، ومثله لولا الله وفلان، والصحيح أن تقول: لولا الله ثم فلان، وما شاء الله ثم شئت، وأيضاً: أعوذ بالله وبك، ومثله توكلت على الله وعليك. ولكن الصحيح أن تقول: أعوذ بالله ثم بك، توكلت على الله ثم عليك، وما شابه ذلك.

وعن أبي سعيد مرفوعاً قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ الشرك الخفي: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**[٢] **وكفارة الشرك الأصغر والخفي، أن يقول الرجل: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه»**[٣] ا.هـ.

قلت: يلاحظ من تقسيمه هذا للشرك أنه جعل الرياء شركاً أصغر كما فعل ابن رجب، ومن أهل العلم من جعل الشرك الأصغر الحلف بغير الله وقول ما شاء الله وشئت ونحوه، والخفي هو الرياء ولا مشاحة في ذلك، فبكلٍ وردت الأدلة.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/٦٩، ٨٦) وأبو داود كتاب الأيمان والنذور باب كراهية الحلف بالآباء (٣/ ٥٧٠) ح (٣٢٥١) والترمذي كتاب النذور والأيمان باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله (٤/ ١١٠) ح (١٥٣٥) والبيهقي في السنن (١٠/ ٢٩) والحاكم في المستدرك (١/ ١٨) جميعهم من طريق سعد بن عبيدة عن ابن عمر ولفظه عند الترمذي والبيهقي **«من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»** ولفظه عند الحاكم **«من حلف بغير الله كفر»** قال الترمذي على أثره «هذا حديث حسن» وقال الحاكم: «هذا حديث على شرط الشيخين فقد احتج بمثل هذا الإسناد» وأقره الذهبي في التلخيص.

(٢) ابن ماجه (٢/ ١٤٠٦)، (٤٢٠٤) في الزهد باب الرياء والسمعة من حديث عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه مرفوعاً وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٠٩/ ٢٦٠٧).

(٣) العقيدة في صفحات (٣٩، ٤٣، ٤٥).

ويلاحظ أنه قد أغفل أنواعاً من الشرك كالشرك في الخوف والرجاء والتوكل وغير ذلك.

وكان الأولى إما أن يجمل فيقول شرك العبودية وإما أن يفصل فيذكر كل أنواع العبادة وما ينافيها من الإشراك بالله فيها.

وقسم العلامة أبو بكر محمد بن عارف خوقير مفتي الحنابلة في مكة، قسم الشرك إلى ستة أقسام:

١ ـ **شرك الاستقلال**[١]: وهو إثبات إلهين مستقلين كشرك المجوس.

٢ ـ **شرك تبعيض**: وهو تركيب إله من آلهة كشرك النصارى.

٣ ـ **شرك تقريب**: وهو عبادة غير الله ليقرب إليه زلفى. (هذا هو بيت القصيد).

٤ ـ **شرك تقليد**[٢]: كشرك متأخري الجاهليين.

٥ ـ **شرك أسباب**[٣]: بإسناد التأثير للأسباب العادية نفسها بدون قدرة الله كما للفلاسفة والطبيعيين كقولهم: مطرنا بنوء الكوكب.

٦ ـ **شرك أغراض**: وهو العمل لغير الله، وحكم هذا المعصية فقط كما ذكره البعض[٤] ا.هـ.

---

(١) لا يوجد شرك الاستقلال. راجع شرح الطحاوية لابن أبي العز ص (١٩) فإن المجوس لم يشركوا شرك الاستقلال ولا يوجد أحد في العالم أشرك في هذا النوع من الشرك فهذا خطأ مشهور يجب التنبه له.

(٢) الأولى في تفسير شرك التقليد: أن يقال (شرك التقليد اتباع العلماء والأمراء في أمر يخالف الشرع مع ظهور الحجة).

(٣) للأشعرية ههنا خطأ فاحش في نسبة التأثير إلى الأسباب وهو قولهم إن القول بالقوة المودعة في الأشياء شرك.
انظر متن الخريد أرجوزة أحمد الدردير ضمن مجموعة المتون ص (٦٠٩).

(٤) انظر كتاب ما لا بد منه ص (٣١).

قلت: ويظهر من هذا التقسيم أن المؤلف لم يستوعب أقسام الشرك التي جاءت في النصوص الشرعية، بل ركز على الشرك في الربوبية والألوهية ولم يشر إلى الشرك في الصفات، وقد نجد بعض العلماء يركز على جانب معين لشيوع الخطأ والزلل فيه والبعض يركز على جوانب أخرى، ولا مشاحة.

المبحث الثالث
وسائل الشرك التي حذر منها بعض علماء الحنابلة

لقد اهتم الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ أشد الاهتمام بمسألة سد الذرائع، وذلك ثابت عنه كما قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «والتمسك بسد الذرائع وحمايتها هو مذهب الإمام مالك وأصحابه، وأحمد بن حنبل»[١].

وجاء عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ وبعض أتباعه النهي عما هو من وسائل الشرك. كتجصيص القبور والبناء عليها[٢]، وتعليتها[٣]،

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٥٧، ٥٨).

(٢) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناء. قال ابن قدامة في المغني «ولأن ذلك من زينة الدنيا فلا حاجة بالميت إليه» ولمزيد من التعرف على موقف الحنابلة في هذا الباب انظر: كشاف القناع (٢/ ١٣٩) الكافي (١/ ٢٧٠) المبدع (٢/ ٢٧٣) المقنع (١/ ٢٨٥) المعتمد (١/ ٢٤٩) المغني (٣/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠).

(٣) يدل على تحريم ذلك الحديث السابق، وحديث أبي الهياج الأسدي الذي أخرجه مسلم والنسائي وغيرهما أن عليًا رضي الله عنه قال له: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا تمثالاً إلا طمسته» وفي لفظ: ولا صورة. وللتعرف على موقف الحنابلة في هذه المسألة راجع: كشاف القناع (٢/ ١٣٨) المبدع (٢/ ٢٧٢) المعتمد (١/ ٢٤٩)=

والكتابة عليها[١]، واتخاذها مساجد[٢]، واستقبالها للدعاء[٣]، والسجود عليها، والصلاة عندها[٤]، وتقبيلها[٥]، وتبخيرها[٦]، وإسراجها[٧]،

= والمغني (٣/ ٤٣٥) قال ابن قدامة: «المشرف ما رُفع كثيراً بدليل قول القاسم في صفة قبر النبي ﷺ وصاحبيه لا مشرفة ولاطئة».

(١) لما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبي ﷺ **«نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها»**.
ولمزيد من الفائدة راجع: المقنع (١/ ٢٨٥) الكافي (١/ ٢٧٠) كشاف القناع (٢/ ١٣٩) المبدع (٢/ ٢٧٣) المعتمد (١/ ٢٤٩) والمغني (٣/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠).

(٢) لقوله ﷺ: **«لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** يحذر ما صنعوا متفق عليه، وقال: **«ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»** أخرجه مسلم.
وانظر: الكافي (١/ ٢٦٧) كشاف القناع (٢/ ١٤٠) المعتمد (١/ ٢٥٠) والمغني (٢/ ٤٧٥).

(٣) لما أخرجه أبو يعلى الموصلي عن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه وحدثه بقوله عليه الصلاة والسلام: **«لا تتخذوا قبري عيداً...»** وحسنه السخاوي في القول البديع ص (١٥٥) وانظر: كشاف القناع (٢/ ١٥٠، ١٥١).

(٤) للحديث الذي أخرجه مسلم وغيره عن النبي ﷺ: **«لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها»**. وانظر: كشاف القناع (٢/ ١٥٠، ١٥١) المبدع (٢/ ٢٧٤) والمغني (٣/ ٤٤١) قال ابن قدامة: «ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم ومسحها والصلاة عندها.

(٥) انظر: كشاف القناع (٢/ ١٤٠) المعتمد (١/ ٢٤٩) المغني (٥/ ٤٦٨).

(٦) انظر: المعتمد (١/ ٢٤٩).

(٧) للحديث الوارد: «لعن رسول الله ﷺ، زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج». أخرجه الترمذي وابن ماجه وغيرهما قال ابن قدامة في المغني: «ولو أبيح لم يلعن النبي ﷺ من فعله، ولأن فيه تضييعاً للمال وإفراطاً في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام».
ولمزيد من الاستزادة راجع: كشاف القناع (٢/ ١٤١) والمبدع (٢/ ٢٧٤) والمعتمد (١/ ٢٥٠) والمغني (٣/ ٤٤٠).

والجلوس عليها[١]، ووضع الفسطاط والخيمة عليها[٢]، وكسوة القبر[٣]، والطواف به[٤]، والاستشفاء بتربته من الأمراض[٥] والتمسح به[٦]، وشد الرحل إليه[٧].

---

(١) للحديث المتقدم في رقم (١) وانظر الكافي (١/ ٢٧٠) المبدع (٢/ ٢٧٤) كشاف القناع (٢/ ١٣٩، ١٤٠)، والمغني (٣/ ٤٤٠) وذكر لأحمد أن مالكاً يتأول حديث النبي ﷺ أنه نهى من يجلس على القبر أي للخلاء فقال: ليس هذا بشيء لم يعجبه رأي مالك.
والجلوس عليها ليس من أسباب الشرك بل النهي عن الجلوس عليها لأجل توهين المقبور فالأولى أن يقال: والجلوس عندها؛ وهو العكوف والمجاورة عند القبور.

(٢) انظر: المبدع (٢/ ٢٧٣) كشاف القناع (٢/ ١٣٩) المغني (٣/ ٥١٦) كره الإمام أحمد أن يضرب على القبر فسطاط وأوصى أبو هريرة حين حضره الموت أن لا تضربوا عليّ فسطاط.

(٣) انظر: كشاف القناع (٢/ ١٣٩).

(٤) إذ يقول الله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [سورة الحج، الآية: (٢٩)] فمن طاف بغير البيت الحرام فقد شبهه بالبيت الحرام وذلك تعظيم لما لم يأذن الله بتعظيمه، وتشريع في الدين بما لم يأذن به الله ومفضاة إلى الإشراك بالله تعالى وتبديل دينه.
ولمزيد من التعرف على موقف الحنابلة في هذه المسألة انظر: كشاف القناع (٢/ ١٤٠).

(٥) إن الشافي هو الله تعالى، وطالب الشفاء ينبغي له أن يطلبه من الله مع الأخذ بالأسباب المشروعة لطلب الشفاء، والمستشفي بالتراب - تراب المقبور - مبتدع ما لم يأذن به الله، معتقد للشفاء والبركة بما لم يرد في شأنه دليل شرعي، ويخشى عليه من الإشراك بالله حيث إنه بذلك معتقد لإمكانية التأثير نفعاً وضرًّا في التراب ومن ثم في المقبور نفسه، وهذا شرك خطير، وللاستزادة راجع: كشاف القناع (٢/ ١٤٠).

(٦) لأن في ذلك تشبيهاً للقبر بالحجر الأسود الذي شرع الله تعالى مسحه، وهذا شرع في الدين بغير إذنه تعالى، ولمزيد من التعرف على موقف الحنابلة راجع: كشاف القناع (٢/ ١٥٠) والمغني (٥/ ٤٦٧).

(٧) شد الرحال محرم لغير المساجد الثلاثة وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**». متفق عليه.
وانظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٧/ ٢١١) كشاف القناع (٢/ ١٥٠). المغني (٣/ ١١٧).

المبحث الرابع
نماذج من الشرك التي ذكرها
وحذر منها علماء الحنابلة

جاء عن الإمام أحمد وبعض أتباعه النهي عن أنواع من الشرك الأكبر والأصغر: كدعاء غير الله[(١)]، والاستغاثة بغير الله[(٢)]، والنذر لغير الله[(٣)]، والحلف بغير الله[(٤)]، والتوكل على غيره[(٥)]، والسجود

---

(١) قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة غافر، الآية: (٦٠)]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [سورة يونس، الآية: (١٠٦)]. وانظر: الفروع (٦/ ١٦٥) المقنع (٤/ ١٥٢، ١٥٣) كشاف القناع (٦/ ١٦٨).

(٢) قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال، الآية: (٩)]، ولمزيد من التعرف على أقوال الحنابلة راجع المصادر السابقة.

(٣) إذ يقول الله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [سورة الحج، الآية: (٢٩)]، والنذر عبادة، والعبادة لا تنبغي إلا لله، فالنذر لغير الله إشراك به سبحانه. وانظر: كشاف القناع (٢/ ١٥١) المعتمد (٢/ ٥٠٣، ٥٠٤).

(٤) لقوله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» أخرجه أحمد (٢/ ٦٧، ١٢٥) وغيره وانظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٧/ ٧٦ و ٦٤) المقنع (٤/ ٢٠١) الإفصاح (٢/ ٣٢٠، ٣٢٣) الكافي (٤/ ٣٧٦) الفروع (٦/ ٣٤٠) والمعتمد (٢/ ٤٨٣، ٤٨٤).

(٥) قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة إبراهيم، الآية: (١١)]. وقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية: (٢٣)]. =

لغير الله[١]، والذبح لغير الله[٢]، واعتقاد أن أحداً غير الله يعرف الغيب[٣]، أو اعتقاد أن لأحد غير الله تصرفاً في الكون[٤]، أو اعتقاد أن الكوكب له تأثير والتقرب إلى الكواكب[٥].

قال في الإقناع وشرحه: «من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم كفر إجماعاً لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام»[٦].

وقال الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي[٧]: «إن من يعظم

= فالتوكل على غير الله صرف للعبادة لغيره تعالى وهذا شرك به ـ عز وجل ـ، وللاستزادة ارجع إلى: الفروع (٦/ ١٦٥) المقنع (٤/ ١٥٢، ١٥٣) كشاف القناع (٦/ ١٦٨).

(١) قال تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة آل عمران، الآية: (٤٣)]، فالسجود لغير الله إشراك به سبحانه وصرف للعبادة لغيره ـ عز وجل ـ، وانظر: المبدع (٩/ ١٧٢) المقنع (٤/ ١٥٢، ١٥٣) الفروع (٦/ ١٦٥) كشاف القناع (٦/ ١٦٩).

(٢) قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [سورة الكوثر، الآية: (٢)]، وانظر: الكافي (١/ ٤٧٩، ٤٨٢) المغني (٨/ ٥٦٨) شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٦/ ٦٦٧، ٦٦٩، ٦٧٠).

(٣) لقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾[سورة الجن، الآية: (٢٦)]. وللاستزادة من أقوال الحنابلة ارجع إلى: المقنع (٤/ ١٦٢) كشاف القناع (٦/ ٦٩) المعتمد (٢/ ٤٤٩) والمغني (١٢/ ٣٠٥).

(٤) قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سورة سبأ، الآيتان: (٢٢، ٢٣)] وانظر: المقنع (٤/ ١٩٥) المغني (١٢/ ٣٠١).

(٥) لقوله تعالى في الحديث القدسي: **«وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»** أخرجه البخاري ومسلم.
والتقرب إلى الكواكب هو تقرب لغير الله تعالى باعتقاد أن له نفعاً وضرًا وتأثيراً وهذا من أكفر الكفر. وانظر: الإفصاح لابن هبيرة (٢/ ٢٢٦) والمغني (١٢/ ٣٠١).

(٦) (٦/ ١٦٨).

(٧) هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي وكنيته أبو الوفاء، =

القبور ويخاطب الموتى بقضاء الحوائج ويقول: يا مولاي ويا سيدي عبد القادر افعل لي كذا فهو كافر بهذه الأوضاع ومن دعا ميتاً وطلب قضاء الحوائج فهو كافر»[(١)].

وقال أيضاً: «لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يا مولاي افعل بي كذا وكذا وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى»[(٢)].

وقال أيضاً في كتاب الفنون: «لقد عظم الله الحيوان لا سيما ابن آدم، حيث أباحه الشرك عند الإكراه، فمن قدم حرمة نفسك على حرمته حتى أباحك أن تتوقى عن نفسك بذكره بما لا ينبغي له سبحانه لحقيق أن تعظم شعائره وتوقر أوامره وعظم عرضك بإيجاب الحد بقذفك وعظم مالك بقطع يد مسلم في سرقته وأسقط شطر الصلاة في السفر لأجل مشقتك وأقام مسح الخف مقام غسل الرجل إشفاقاً عليك من مشقة الخلع واللبس، وأباحك الميتة سدًّا لرمقك وحفظاً لصحتك وزجرك عن مضارك بحد عاجل ووعيد آجل، وخرق العوائد لأجلك، وأنزل الكتب إليك، أيحسن لك مع هذا الإكرام أن يراك على ما نهاك منهمكاً، ولما أمرك تاركاً وعلى ما زجرك مرتكباً وعن داعيه معرضاً، ولداعي عدوه فيك مطيعاً يعظمك وهو هو، وتهمل أمره وأنت أنت، وهو حط رتبة عباده لأجلك، وأهبط إلى الأرض من امتنع عن سجدة يسجدها لأبيك، هل عاديت خادماً طالت خدمته لك لترك صلاة، هل

= قال عنه الذهبي (الإمام العلامة البحر شيخ الحنابلة) توفي سنة (٥١٣هـ). سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٤٣ ـ ٤٥١).

(١) كتاب «حكم الله الواحد الصمد».

(٢) عقيدة الموحدين ص (٦٤).

نفيته من دارك للإخلال بفرض أو لارتكاب نهي ما فإن لم تعترف اعتراف العبد للمولى، فلا أقل أن تقتضي نفسك إلى الحق سبحانه اقتضاء المساوي المكافي. ما أفحش ما تلاعب الشيطان بالإنسان، بينا هو بحضرة الحق سبحانه وملائكة السماء سجود له، ترامى به الأحوال والجهات إلى أن يوجد ساجداً لصورة في حجر، أو لشجرة من الشجر، أو لشمس أو لقمر، أو لصورة ثور خار، أو لطاير صفر، ما أفحش زوال النعم وتغير الأحوال بعد الكور، لا يليق بهذا الحي الكريم الفاضل على جميع الحيوانات أن يرى إلا عابداً لله في دار التكليف أو مجاوراً لله في دار الجزاء والتشريف وما بين ذلك فهو واضع نفسه في غير موضعها»[١].

قال ابن رجب[٢]: «إن قول العبد لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله له غير الله، والإلٰه هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة وإجلالاً، ومحبة وخوفاً ورجاءً، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه، ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله ـ عز وجل ـ، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية، كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول لا إله إلا الله ونقصاً في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك، ولهذا ورد إطلاق الكفر[٣] والشرك على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة غير الله

---

(١) كتاب الفنون كما في عقيدة الموحدين ص (٦٤، ٦٥).

(٢) هو زين الدين عبد الرحمن بن الشيخ الإمام المقرىء المحدث شهاب الدين أحمد بن الشيخ الإمام المحدث أبي أحمد رجب عبد الرحمن البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب قال عنه ابن العماد: «الإمام العالم العلامة الزاهد القدوة البركة الحافظ العمدة الثقة الحجة الحنبلي المذهب» توفي سنة (٧٩٥هـ).
شذرات الذهب (٦/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠).
والدرر الكامنة لابن حجر (٢/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨).

(٣) كما ورد في الحديث: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**» أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٦) وابن أبي شيبة في الإيمان (٤٦) والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم وغيرهم من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعاً وصححه=

أو خوفه أو رجائه، أو التوكل عليه والعمل لأجله، كما ورد إطلاق الشرك على الرياء[١]، وعلى الحلف بغير الله[٢]، وعلى التوكل على غير الله، والاعتماد عليه، وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق في المشيئة، مثل أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان[٣]، وكذلك قوله: ما لي إلا الله وأنت وكذلك ما يقدح في التوحيد، وتفرد الله بالنفع والضر، كالطيرة[٤]، والرقى المكروهة[٥]، وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون[٦]، وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادح في تمام

= الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧٦٠/ ٤١٤٣).
وكما ثبت: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**» أخرجه البخاري (١/ ١٣٥) ح (٤٨) في الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله من حديث أبي وائل عن ابن مسعود مرفوعاً، وأخرجه كذلك مسلم وغيره.
وورد أيضاً: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**» أحمد (١/ ١٢٥) وأبو داود (٣/ ٥٧٠) والترمذي (٤/ ١١٠) والحاكم (١/ ٥٢) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٦٧/ ٦٢٠٤).

(١) كما ورد في الحديث: «**من صلى يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك**» أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) والطبراني في الكبير (٧/ ٣٣٧) والحاكم (٤/ ٣٢٩) وصححه كلهم من حديث شداد بن أوس.

(٢) راجع التخريج السابق تحت رقم (١).

(٣) كما قال النبي ﷺ، لمن قال له: «ما شاء الله وشئت. قال: **أجعلتني لله عدلاً، لا بل ما شاء الله وحده**» أحمد (٣/ ٢٥٣) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح وأخرجه ابن ماجه (١/ ٦٨٤). والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٤٤).

(٤) كما في مثل قوله ﷺ: «**من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**» أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٠). والطبراني وغيرهما وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٧٥/ ٦٢٦٤) وهو من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً.

(٥) كما في الحديث: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**» أحمد (١/ ٣٨١) وأبو داود (٤/ ٢١٢) وابن ماجه (٢/ ١١٦٧) والحاكم (٤/ ٢١٧) وصححه من حديث ابن مسعود مرفوعاً.

(٦) كما أتى في الحديث: «**من أتى عرافاً أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**» أحمد (٢/ ٤٢٩). والحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعاً وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٣١/ ٥٩٣٩).

التوحيد وكماله[١].

إلى أن قال: فمن أحب شيئاً مما كرهه الله أو كره شيئاً مما يحبه الله لم يكمل توحيده وصدقه في قول لا إله إلا الله، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما يحبه الله وما أحبه مما يكرهه الله[٢]، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾[٣]، قال الليث عن مجاهد في قوله: ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾[٤]، قال: «لا يحبون غيري».

وفي صحيح الحاكم[٥] عن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ قال: «**الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء**»[٦]، وأدناه أن تحب على شيء من الجور أو تبغض على شيء من العدل، وهل الدين إلا الحب والبغض؟ قال الله - عز وجل -: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[٧]، وهذا نص في أن محبة ما يكرهه الله، وبغض ما يحبه متابعة للهوى، والموالاة

---

(١) قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الجاثية، الآية: (٢٣)].

(٢) وفي الحديث: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**» أبو داود (٥/ ٦٠) ح (٤٦٨١) في السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، والضياء وغيرهما من حديث أبي أمامة مرفوعاً.
وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٣٤) (٥٩٦٥).

(٣) سورة محمد، الآية: (٢٨).

(٤) سورة النور، الآية: (٥٥).

(٥) في إطلاق ذلك اللفظ تجوز كبير فإن كتاب الحاكم فيه الصحيح وغير الصحيح.

(٦) الحاكم (٢/ ٢٩١) من حديث عروة عن عائشة وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه قال الذهبي في تلخيصه: عبد الأعلى قال الدارقطني ليس بثقة.
وصحح أوله الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٩٣/ ٣٧٣٠).

(٧) سورة آل عمران، الآية: (٣١).

على ذلك والمعاداة فيه من الشرك الخفي»[١] ا.هـ.

وقد ذكر العلامة (أبو بكر بن محمد خوقير)[٢] في كتابه (ما لا بد منه) نماذج من الشرك التي حذر منها النبي، ﷺ، لحماية جناب التوحيد وهي:

١ ـ الرقى والتمائم من غير القرآن[٣].

٢ ـ التبرك بالأشجار والأحجار ونحوه[٤].

(١) كلمة الإخلاص. ضمن مجموعة الرسائل الكمالية (١٨/١٩/ ٢٢: ٢٣).

(٢) هو أبو بكر بن محمد عارف بن عبد القادر بن محمد بن علي خوقير المكي الكتبي الفقيه الحنبلي ولد بمكة سنة (١٢٨٢هـ) وتوفي بها سنة ١٣٤٩هـ.
انظر: ترجمته في الأعلام (٢/ ٧٠) ومعجم المؤلفين (٣/ ٧٣).

(٣) وفي الحديث: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**» سبق تخريجه.
وقد قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «التعليق كله يكره والرقى ما كان من القرآن فلا بأس به». وانظر مسائل الكوسج (٢/ ١٦٩).
وقال في علاج المجنون من الصرع بالرقى والعزائم: «ما أحب لأحد أن يفعله، وتركه أحب إلي» راجع الأحكام السلطانية ص (٣٠٨).

(٤) التبرك بالأشجار والأحجار ونحوه من ذرائع الشرك وقد قال النبي ﷺ لما أراد الصحابة اتخاذ شجرة يعلقون فيها أسلحتهم مثل المشركين. فقال لهم: «**الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قال أصحاب موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة..**» أخرجه الترمذي (٤/ ٤٧٥) ح (٢١٨٠) في الفتن باب ما جاء لتركبن سنن.. وقال: حسن صحيح، وابن حبان في صحيحه (٨/ ٢٤٨) ح (٦٦٦٧) وأبو يعلى في مسنده (٢/ ١٥٩) والحميدي في مسنده (٢/ ٣٧٥) ح (٨٤٨) وابن جرير في التفسير (٩/ ٤٥) والطيالسي (١٣٤٦) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٧) رقم (٧٦) واللالكائي في أصول الاعتقاد (١/ ١٢٤) رقم (٢٠٤، ٢٠٥) والطبراني في الكبير وغيرهم جميعهم من حديث أبي واقد الليثي مرفوعاً وهو حديث صحيح.
وقد أنكر الإمام أحمد على من مسح جسده بيده ـ أي جسد الإمام ـ ثم مسح جسده بها يتبرك بذلك، فغضب وقال: عمن أخذتم هذا، وأنكره إنكاراً شديداً.
وانظر طبقات الحنابلة (١/ ٢٢٨) المنهج الأحمد (١/ ٤٢٨).

٣ ـ الذبح لغير الله[١].

٤ ـ النذر لغير الله تعالى[٢].

٥ ـ الاستعاذة بغير الله تعالى[٣].

٦ ـ الاستغاثة بغير الله تعالى ودعاء غيره[٤].

٧ ـ الاستشفاع بغيره (بمعنى طلب الشفاعة من الغير)[٥].

٨ ـ الغلو في الصالحين بالإطراء[٦].

---

(١) وقد قال النبي ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله...**» أخرجه مسلم (٣/١٥٦٧) ح (١٩٧٨) في الأضاحي باب تحريم الذبح لغير الله من حديث أبي الطفيل عن علي وأخرجه غيره.
وقد منع الإمام أحمد أكل ما ذبح لغير الله وشدد في ذلك، وانظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة (١٢٩، ١٣١).

(٢) من المعلوم أن النذر عبادة، ولا ينبغي أن تصرف العبادة إلا لله تعالى وقد قال ـ عز وجل ـ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [سورة الإنسان، الآية: (٧)]، وقال: ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾ [سورة الحج، الآية: (٢٩)].

(٣) الاستعاذة هي الالتجاء والتحصن، ولا تجوز إلا في حق الله عز وجل، وقد قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [سورة النحل، الآية: (٩٨)]، وقال أيضاً: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٣٦﴾ [سورة فصلت، الآية: (٣٦)].
وقالت مريم عليها السلام: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ [سورة مريم، الآية: (١٨)].

(٤) لا تجوز الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، قال تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾ [سورة الأنفال، الآية: (٩)]. وقال ـ عز وجل ـ: ﴿وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ﴾ [سورة الأحقاف، الآية: (١٧)]، وكذلك لا يدعى غير الله تعالى، فإن الدعاء هو العبادة كما ثبت، وقد قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [سورة غافر، الآية: (٦٠)].

(٥) قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سورة سبأ، الآية: (٢٣)]، وقال أيضاً: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا﴾ [سورة الزمر، الآية: (٤٤)].

(٦) كما نهى النبي ﷺ عن إطرائه فقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى**=

٩ ـ عبادة الله عند قبر رجل صالح[١].

١٠ ـ السحر والكهانة[٢].

١١ ـ النشرة والتطير[٣].

١٢ ـ الاستسقاء بالأنواء[٤].

١٣ ـ محبة غير الله كمحبته والخوف منه[٥].

= ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» أخرجه الخباري (٦/ ٥٥١) ح (٣٤٤٥) في أحاديث الأنبياء باب قول الله: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ﴾ من حديث ابن عباس عن عمر مرفوعاً، فلما حرم إطراء النبي ﷺ، حرم في حق غيره من باب أولى.

(١) ويرد في هذا الباب أحاديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد ولعن من فعل ذلك واتخذ قبور الأنبياء مساجد وهي ثابتة في الصحيحين وغيرهما.

(٢) قال الله تعالى في السحر: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ [سورة البقرة، الآية: (١٠٢)]، والكاهن وهو الذي يدعي علم الغيب كافر لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [سورة النمل، الآية: (٦٥)].
وقد سئل الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: الكاهن شر أو الساحر؟ قال: كلٌّ شرٌّ. أورده الخلال في أحكام أهل الملل ص (٢٠٨)، وسئل ـ رحمه الله ـ عن الساحر فقال: إذا عرف بذلك فأقر يقتل. وانظر مسائل عبد الله بن أحمد ص (٤٢٧) وأحكام أهل الملل ص (٢٠٧) وقال: الكاهن يدعي الغيب والساحر يعقد، راجع أحكام أهل الملل (٢٠٨).

(٣) وقد ورد في الحديث: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك». سبق تخريجه، والتطير هو التشاؤم بشيء معين كيوم معين أو طير معين أو رقم معين أو غير ذلك.

(٤) وفي الحديث: «وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب» أخرجه البخاري (٢/ ٣٨٨) ح (٨٤٦) في الأذان باب يستقبل الإمام الناس، مسلم (١/ ٨٣، ٨٤) ح (٧١) في الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، كلاهما من حديث عبيد الله بن عبد الله عن زيد بن خالد الجهني مرفوعاً وهو حديث قدسي.

(٥) محبة غير الله كمحبته من الشرك، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [سورة البقرة، الآية: (١٦٥)]، =

١٤ ـ الرياء وإرادة الدنيا بالعمل(١).

١٥ ـ طاعة العلماء والأمراء في معصية الله أو تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم(٢).

١٦ ـ اتخاذ الأضداد(٣).

١٧ ـ الحلف بغير الله(٤).

١٨ ـ قرن مشيئة الله بمشيئة المخلوق كنحو: ما شاء الله وشاء فلان(٥).

= وكذلك الخوف من غير الله تعالى كمخافة الله شرك كذلك، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [سورة المائدة، الآية: (٤٤)]. وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: (١٧٥)].

وأما الخوف الطبيعي مع اعتقاد أن النفع والضر بيد الله وحده فإنه ليس بشرك ولا شيء فيه. وقد قال تعالى في حق موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [سورة القصص، الآية: (٢١)].

(١) وفي الحديث: «من صلى يرائي فقد أشرك ومن صام يرائي فقد أشرك ومن تصدق يرائي فقد أشرك» سبق تخريجه، وقد قال تعالى في حق من أراد الدنيا بعمله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة هود، الآيتان: (١٥، ١٦)].

(٢) قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة التوبة، الآية: (٣١)]، وذلك لأنهم أحلوا لهم ما حرم الله وحرموا عليهم ما أحل الله فأطاعوهم فكانت تلك عبادتهم إياهم من دون الله تعالى، وفي الحديث: «إنما الطاعة في المعروف» متفق عليه من حديث علي مرفوعاً.

(٣) وهم من يضادون الله تعالى في حكمه أو شرعه أو أمره أو غير ذلك فيسويهم بالله تعالى ويطيعهم.

(٤) وفي الحديث: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» سبق تخريجه.

(٥) وقد قال النبي ﷺ لمن قال له ذلك: «أجعلتني لله عدلاً؟ قل ما شاء الله ثم شئت» سبق تخريجه كذلك.

١٩ ـ سب الدهر[١].

٢٠ ـ التسمي بقاضي القضاء[٢].

٢١ ـ الهزل بشيء فيه ذكر الله[٣].

٢٢ ـ الاستشفاع بالله على أحد من خلقه.. ا.هـ[٤].

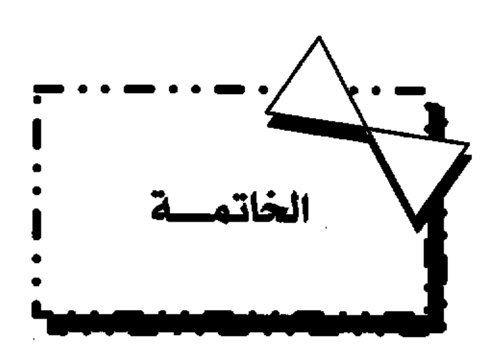
(١) وقد ورد في الحديث القدسي: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار» متفق عليه من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) وذلك لأن قاضي القضاة هو الله تعالى، لا راد لقضائه، وقد جوّز بعض العلماء إطلاقها مقيدة كأن يقال: قاضي قضاة اليمن، أو نحو ذلك.

(٣) قال تعالى: ﴿قَوْمٌ يَفْرَقُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [سورة التوبة، الآيتان: (٦٥، ٦٦)]. فالاستهزاء بشيء فيه ذكر الله أمر خطير جدًا.

(٤) وفي الحديث: «.. إنه لا يستشفع بالله على أحد...» أخرجه أبو داود وغيره من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه في قصة طويلة، لكنه حديث فيه ضعف.

راجع الكلام في كتاب (ما لا بد منه) ص (٢٧، ٢٩).



الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات إذ وفق للفراغ من وضع هذا الكتاب، وذلك في بيان الشرك ووسائله عند عدد من علماء الحنابلة، وذلك تمام لما سبق من الكتابة عن الموضوع نفسه عند علماء المذاهب الثلاثة الأخرى (الحنفية ـ المالكية ـ الشافعية).

ونظراً لما سبق ذكره في المقدمة من التزامنا بعدم النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والشيخ ابن عبد الوهاب وأئمة الدعوة، وذلك حتى لا يظن أحد أنهم وحدهم الذين تكلموا في هذه المسائل، ولو نقلنا عنهم فيما ذكر لطال الموضوع جدًّا وتشعب فإنهم قد أفردوه بالأجزاء والمصنفات الكبيرة، ثم إن فشو البدع في التعليم والتصنيف حتى صار لفظ: «أهل السنة والجماعة» لقباً ينتحله أهل البدع والمذاهب المنحرفة في مسائل الاعتقاد وغيره، بل تراهم يحتكرونه لأنفسهم، أما الحنابلة وأهل الحديث فهم تيميون[١] ووهابيون[٢] ـ بزعمهم ـ ورموهم بالخروج والمروق والتجسيم والحشوية حتى أصبح كثير من العوام يشاركون في إطلاق هذه الألفاظ على أهل السنة بسبب ضعف العلم والعمل بالكتاب والسنة، ومناصرة

(١) نبذهم بالتيميين. انظر براءة الأشعريين لابن مرزوق (١٦٩، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩) والتوسل بالنبي له (١٠٠، ١١٣، ١١٤، ١١٦).

(٢) انظر المعيار المعرب (١١/١٦٨).

الملوك والحكام لأهل البدعة، وابتدع أهل البدع قاعدة لإقرار ما هم عليه بتقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة، واختراع محاسن لها ـ أي لتلك البدع ـ ككونها علامة على حب الأنبياء والصالحين وتعظيمهم والتبرك بهم، وهذا عين الغلو الذي فعله أهل الكتاب، فقال تعالى لهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾[1]، وقال: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾[2]، فليس في الدين بدعة حسنة وسيئة، بل إن كل بدعة ضلالة كما ثبت عن النبي، ﷺ، ففشت البدع وكثرت لما ذكر من الأسباب، وذلك لأن بعض الحكام ناصروا البدع إرضاء للعوام الجاهلين ثم أيدها بعض المعممين المقلدين إرضاءً للحكام وللعامة، فخفي وجه الحق حتى كاد يندرس، وعمت البدعة حتى أصبحت هي السنة، وأصبح أهل السنة غرباء بين الناس وأصبح المعروف منكراً، والمنكر معروفاً وأصبح أهل البدع يحتجون على دعاة السنة بمخالفة السواد الأعظم والخروج عليه بدعوى أن الأكثرية على هذه البدع، ونسوا أن الجماعة ما كان على الحق ولو واحداً فقط كما قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

والحمد لله الذي هيأ لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها، ويظهر معالم الحق المندرسة ويقمع البدع وأهلها، أهل الزيغ والضلال، ويرد على تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، هذا ومن المعلوم أن أصحاب السهم الأكبر في هذا المضمار هم علماء الحنابلة، لذلك سماهم بعض الجهال متشددين بينما هم داعون إلى السنة متبعون لها محاربون للبدع والخرافات والشرك، سواءً في مسائل الأضرحة والقبور، أو النذر والاستغاثة والطواف بها والتبرك بترابها وطلب الشفاء من أصحابها وغير ذلك مما يشبهه واتباعاً لهدى النبي، ﷺ، حيث سد منافذ الشرك كلها، وحذر منها ومما يوقع فيها ويجر إليها من الأقوال والأفعال.

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٧٧).

(٢) سورة النساء، الآية: (١٧١).

فلكل ذلك أوليت اهتماماً لإخراج هذه السلسلة التي ختمت بهذا الكتاب، والله أسأل القبول والحسن في القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. أبو عبد الرحمن
محمد بن عبد الرحمن الخميّس